



رواية مونامور

تصميم الغلاف : خولة أعبيد.

تنسيق الرواية سابقاً : خولة أعبيد.

تنسيق الرواية حالياً: دعاء سعد.

تصنيف الرواية: اجتماعي.

السرد: فصحي.

الحوار: العامية المصرية.

كاتبة الرواية: دعاء سعد.

سنة النشر: 2024

حقوق النشر محفوظة للكاتب ©

المُحِبُّ لَا يَهْدِي ذَنْبِيًّا، وَلَا يُفْسِدُ
عَلَى مُسْلِمٍ قَلْبَهُ.

إهداء

إلى

أسرتي التي تخبرني دائماً إنني تافهة وما أكتبه تفاهات
وماذا سأجني مما أكتب على أي حال.

إلى

كل الأشخاص الذين أمنوا بي، الذين أمنوا بي بالرغم
من عبثي.

مجموعات القراءة والدعم.

شكر خاص

إلى

صديقتي من العراق لمياء البغدادي.

صديقتي من المغرب خولة أعييد.

مجموعات القراءة والدعم.

الصدفة التي جمعتني بكم.

إلى كل الأشخاص الذين آمنوا بي.

مقدمة

عزيزي القارئ مرحبًا بك، أيمكنني أن أخبرك سرًا؟ هل أخبرك أحدهم يومًا أن عيناك جميلة؟ لم يفعل أحد؟ إذاً ها أنا أخبرك بهذا. أخبرك بكل صدق وأنت تعلم إنني دائمًا لا أخبرك إلا الصدق. هذه الرواية قد تبدو عبثية ولكنها ليست كذلك. هناك شاب مدلل في كل مكان سواء أكان غنيًا أم فقيرًا؟ الدلال ليس حكرًا على الأثرياء يا عزيزي. هناك شاب مثقف كذلك وطيب الخصال لا يشترط أن يكون فقيرًا ولكن الفقر يتخلل من يعلمون كإنه خلق لهم ولم يخلق لغيرهم. هناك فتاة قوية أيضًا وصديقة وفيه سواء أكانت فقيرة أم ثرية لا يشكل فرقًا المهم أنها موجودة. هناك أيضًا فتاة ضعيفة وهشة تخاف المجتمع وتكاد تنزوي في أضلاعها خوفًا منه، ذلك المجتمع الذي لا يرحم. فتاة قد تظنها شريرة ولكنها في الواقع تعرضت لأحداث مؤسفة، هي من جعلتها بهذا الشكل. سأتوقف هنا لقد تعبت فهناك الكثير الذين يشبهوننا أو هناك بعض من الصفات التي لديهم بنا. أخبرك أنك ستحب أجواءهم وربما يعجبك ما أكتبه من عبث حتى وإن لم يكن عبث.

صدقني يا عزيزي بكيت كثيرًا وقررت ترك الكتابة مرارًا، ولكنها عزائي الوحيد لأظل على قيد الحياة، الضغوط كثيرة جدًا عزيزي القارئ ولكنني أحاول أن أصمد. وأرك أيضًا

تحاول وتحارب، أخبرك شيئاً قد يبدو تافهاً، تمسك بالحياة
وحارب وحاول دائماً ومراراً وتكراراً، أما أن تعطيك الحياة
ما تريد وأما أن تفنى وأنت تحاول. ولكن لا تستسلم أبداً.

عزيزي القارئ الاستسلام للجبناء ونحن شجعان و سنظل
كذلك أنفقنا.

فلتدلف إلى عالمهم الخاص. ولتعش معاهم بكائهم وسرورهم،
معاناتهم وقوتهم. تناقضهم وبشريتهم. كل منهم ضحية أو
جاني، مع اختلاف الحدث أو الوقت. ليس عالماً مثالياً. ربما
هناك قليلاً من الخيال. الخيال هو وهم الحقيقة، والحقيقة فيما
مضت كانت خيلاً.

الفصل الأول (يوم عادي)

نحن نعلم أن كل شيء يحدث مصادفة، ولكن هناك أشخاص لا يوجد لديهم ما يسمى مصادفة. وهناك أشخاص يعترفون بأنها موجودة، وأشخاص آخرون يؤمنون بالمصادفة بشكل كبير. كل قصة حب غالباً ما تكون عن شخصين تقابلا في صدفة عابرة، احتسيا كوبا قهوة، وتحدثا قليلاً، ومن ثم بدأت قصتهم. هل معني هذا أن كل القصص واحدة، أو أن الحب كل شيء؟ لا أنه العكس كل قصة تختلف كثيراً عن قرينتها، بعضاً من التفاصيل، وبعضاً من الحكايات، تجعل للقصة معني آخر.

وكما قال عبد الحليم حافظ :

كان يوم حبك أجمل صدفة .. لما قابلتك مرة صدفة

ياللي جمالك أجمل صدفة .. كان يوم حبك صدفة"

فتاة تنزل من سلم العمارة التي تسكن بها. تشير بيدها إلى والدتها مودعة، وبينما هي تهبط على الدرجات

ينحل رباط حذائها. تقف لبرهة تحاول فيها أن تعيد ربط الحذاء الخاص بها وصديقتها تصرخ عليها في عجل لأنها متأخرا.

ترد على صراخها:

في إيه يا ندى أهو جاية الدنيا مطرتش يعني؟

وقبل أن تغادر ترفع والدتها يدها داعية لها:

خلي بالك من نفسك يا بنتي، ربنا يحرسك ويبعد عنك ولاد الحرام.

-أنا مش عارفة من الدعوتين دول كنت هعيش أزاى؟

ندى تهتف بصوت عال:

يا بنتي حرام عليك هنتاخر حرام يا ناس.

- أنت متعصبة ليه مكنتش محاضرة يعني؟ وكدا

كدا هنفطر الأول.

ندى ممازحة:

-لازم أشدك من قفاك يعني وأجري.

بيتسم ثغرها:

-أيوه لازم.

ندى تجذبها من ياقتها وتسير بها رغماً عنها، ليس
بجدية وإنما بممازحةٍ.

* **

.... في مكان آخر، في نفس الصباح.

شخص يقف تحت شرفة منزل أحدهم، ويهتف صارخاً
في محاولة عبثية لإيقاظ شخص ما. استيقظ الحي
بأكمله، وهناك من عنفه وبعضهم قام بسبه، والشخص
الذي يريده لم يستيقظ بعد.

- يا طارق ولاه، يا طارق يخربيت معرفتك، يا اماه
صحيه بالله عليك.

تطلّ من الشرفة سيدة ترتدي جلباب لونه قاتم، وبه
بعض النقوش المزخرفة ويبدو عليها الكبر والتقدم في
السن وتجيب على هتافه:

- في إيه يا بني، طارق نايم.

- يا اماه صحيه بسرعة، الوقت أتأخر.

والدته وتقلب كفاً بكف:

- تعال صحيه مش راضي يقوم، أعمله إيه؟ مغلبنى يا
بني والله من الصبح.

ينظر لها نظرات يتخللها العتاب:

-حاضر يا قدرتي، بتصل عليكِ مش بتردي؟ لما هطلع نتكلم!

.. يصعد على درجات السلم بسرعة وبمشقة كذلك، درجات السلم مرهقة حتى وإن كان يذهب إلى الصالة الرياضية بشكل يومي. بينما هو يتراكض، قام بتفويت سلمة رغماً عنه وكان سينزلق ويلوى كاحله ولكنه أمسك في دربين السلم الحديدي. بعد أن وصل لاهتاً إلى الشقة التي يسكن بها وحاول أن يلتقط أنفاسه التي كادت أن تنقطع، يقوم بالنقر على الباب نقراً أقرب إلى الموسيقى. لم يكن ينقر وإنما يعزف موسيقى من النوع التصويري. وهذه الحركات، حركات مصريين. أجل ذلك الاستفزاز الذي يصنعه البعض وهو يطرق على الباب فقط لأنه مستعجل، كما لو أن طرقه بهذا الشكل العبثي سيفيد أو سيجري الطرف الآخر مسرعاً ليستقبله. يطرق كما يدق أحد الغجر الطبول في إحدى الغابات الاستوائية المطيرة مع قبيلته الغجرية الآكلة للحوم البشر التي تتراقص على أنغام الطبول في شجن. البعض لا يجد هذا الشيء مزعجاً، وإنما يتفاعل معه ويطر به أيضاً ذلك النوع من العبث. تخرج والدته تستشيط غضباً، لقد رفع ضغطها بهذا الاستفزاز:

-مين الحيوان اللي كان بيخبط على الباب؟
يهندم ذاته ويقف مستقيماً وربما ينكمش قليلاً ويخبرها
كاذباً:

-يظهر كدا عيل صغير، بس مشي يعني خلاص.
والدته وتبدو على وجهها علامات الحسرة:
-خلاص يا بني تعال أدخل جوه صحيه شكلكم اتأخرتم
كان مالنا ومال اللخبطة دي بس يا ربي.
ينظر لها معاتباً:

- خلاص يا ماما، أنتِ عارفة أن طارق بيحبك أكثر من
أمه وبيحترمك كمان، وبعدين ما هو من زمان عندنا إيه
الجديد.

يتركها ويدلف إلى غرفته، ليري الجثة النائمة، يجهز
لخدعة ما أو ربما مقلباً. عقله طفولي جداً، ونقي كذلك.

الفصل الثاني (شجار)

دلف إلى الغرفة في هدوء تام، يسير بالتصوير البطيء وبكل ثبات، وبكل هدوء لا يشوبه شائبة مثل اللصوص أو القتلة المأجورين على أطراف أصابعه يتجه صوب السرير الذي ينعم أحدهم بنوم عميق و يقترب من رأسه وبالقرب من أذن الشخص النائم ويصرخ:

-اصحى يا ولاه.

يستيقظ الشخص النائم مفزوعًا و هلعًا، لا يدري ما الذي يحدث، لم يستيقظ بعد ربما لهذا السبب.

وها هو ذلك الطفل الكبير، يضرب بأقدامه الأرض ويتمرغ متقلبًا على الأرض من كثرة الضحك واضعًا يده على بطنه، تكاد تخرج مقلتاه من مكانهما.

الشخص الذي كان نائم هانئًا، ينظر إليه منفعلاً:

-مش هتبطل حركاتك دي أكبر ها أكبر.

نادر مازحاً:

- لا مش هبطل، المهم البس بسرعة هنتاخر على المحاضرة.

طارق:

- ومن أمّتي بتهتم بالكلام دا أنت، التأخير أو التبكير
مفيش فرق بالنسبة لك أظن.

نادر:

-بقيت بهتم من دلوقت، يلا يا عم.

يحاول الاستيقاظ أو الانتباه على الأقل، بعد أن استعاد
التركيز قليلاً، دلف إلى غرفة الاستحمام أخذ حمامًا،
غسل أسنانه، قام بتسريح شعره، وأرتدي ملبسه وهمّ
بالمغادرة معه. ولكنه ما زال غير مصدق أو واعٍ تمامًا
وهناك سؤالاً يورقه ماذا يوجد في عقل نادر؟ أن عقله
تألف مثل حبة جوز بداخلها عفن أفسد الثمرة الطيبة
وجعل مذاقها مقززًا.

* **

.. ننتقل إلى مكان آخر، في مقهى الكلية المتواضع،
ليس متواضعاً، أسعارهم سياحية وكل شيء الضعف
تقريباً، وكأنه الساحل الشمالي وليس مقهى في جامعة
بالية وغير متحضرة مليئة بالعثيات الواقعية كلياً.

في الزاوية هناك صديقتين تجلسن بجوار بعضهن
ويتمزحن ويتهامسن ويتنقلن أطراف الحديث في
ممازحة وهرج.

-هتاكلي إيه يا جميل؟

-مش هتبطل الكلام دا يا لوز اللوز.

-أيوه بقا.

و في غمرّة مزاحهم تدلف إليهم فتاة وتنازعهم في
جلستهم، وتتجه صوب فتاة منهن وتقبض بيدها على
المعطف خاصتها وترفعها من ياقته وتتحدث بشيء من
الغيظ .

-أنت بقا اللي بيقلوا عليك جنة؟

تنتزع يدها من عليها في حركة مباغطة وبهدوء تام:

-أيوه أنا عاوزة إيه؟

تتدخل صديقتها فيما بينهما لتحل النزاع:

- بقولك إيه يا سارة. إيه اللي حدفك علينا الساعة دي ما
أحنا كنا في حالنا؟

سارة:

-في إيه يا ندى؟ عاوزة اتكلم معها ولا هو ممنوع أتكلم
مع زميلتي؟

ندى بتوعد وأمارات الغضب تعلو وجهها:

- هو في حد يتكلم مع حد يمسه من هوممه بالشكل دا،
بقولك إيه، سارة سببي جنة في حالها ومليكش دعوة
بيها، أنا بحذرك أهو.

تقترب منها ببرود أعصاب وتربت على أحد كتفيها:
- أهدي، أهدي ما تتعصبيش علينا كدا أنا قصدي خير.
تقترب من وجهها محذرة:

- لا خير ولا شر تقدري تمشي، مش حابين كلامك يا
ستي.

ترمقها بنظرات حاقدة دون أن تنبس بكلمة واحدة
وتذهب مبتعدة عنهم بدون أي ردة فعل.

بعد أن غادرت وذهبت في حال سبيلها، جنة تريد أن
تذهب خلفها وتتشاجر معها لأنها قامت بإهانتها وكيف
لم تتصرف وقتها، ليتها فعلت ولكن الحدث كان صادم
ومباغتًا، تمسك بها صديقتها وتمنعها من الذهاب
وأحداث الفوضى وتقنعها بالمكوث وتناول الطعام قبل
أن يبرد ويفسد مذاقه. وبالرغم من محاولات صديقتها
لجعلها تهدأ إلا أنها لا تهدأ مطلقًا.

جنة منفعة:

- سبيني عليها أربيها أنا هروح لها وأوريها.

ندى بممازحة:

-يا بنتي خلاص ميشت سيبك منها بقا.

تنظر لها باستعطاف ممزوج بالانفعال:

- لا أبدًا مش هسيبها.

ندى ملّلت الامساک بها أو محاولة تهدئتها وأفلتت يدها
قائلة:

- روعي لها روعي يلا تعبتيني.

جنة وقد خجلت وتجمد الدم في وجهها وانزوت إلى
مكانها و انكمشت هادئة ومحرجة:

-ما هو مينفعش أتخايق وأنا لسه مكلتش يعني.

نظرن إلى أنفسهن وضحكن على عبثية هذا الموقف
الذي حدث للتو.

* **

...في هذه اللحظة كان نادر وطارق يسيران في الممر.

طارق القى نظره ورمقهم بنظرة عابرة و تابع طريقه
بدون أن يعطيهم أي أهمية تذكر. ولكن نادر ظلّ واقفًا
ومحددًا إليهن في ذهول إلى أن لاحظت جنة أن هناك
أبلهًا يحدق بهم وهم يتناولون الطعام بشراهة، شعرت

بالغضب وذهبت في حنق لتسأله لماذا يحدق بهم؟ وأن
تصرفه غير مقبول.

جنة بحنق:

- إيه يا أخينا أنت بتبص علينا ليه؟ ها مالك ها قول؟
ظلّ صامتاً لا يتحدث فقط يستمع لها وينظر إلى حركات
يدها المضحكة التي تستخدمها وهي تتحدث، وأكاد
أجزم أنه حاول ألا يبتسم أو يبدئ أي ردة فعل.

تابعت حديثها:

-أنت مبتسمعش أنا بكلمك من الصبح، ولا أنت أخرس
ولا حكايتك إيه؟

تجري صديقتها مسرعة لترى ماذا فعلت وجع الرأس
مرة أخرى؟

تعذر له بهدوء وتجذبها من يدها وتأخذها بعيداً عنه:

-أنا أسفة جداً ليك متزعلش أوك تمام.

بعد أن أخذتها بعيداً عنه واجهتها بتصرفها الغير ناضج
والطفولي:

-جنة أنتِ مقدرتيش على سارة أتشطرتِ على الراجل
الغلبان دا ها، وبعدين مينفعش تعايري حد بعيد فيه،
والكلمة بتزعل حتى لو أحنا مش قصدنا ولا إيه نسييتي؟

جنة وتتكمش وتشعر بالخجل وتجيب بتردد وتعلم:

-ياووه بقا هو عصبني على فكرة وأنا מבحبش حد
يبص ليّ وأنا بأكل خصوصًا وأنا بأكل، الاكل دا حاجة
مقدسة بالنسبة ليّ.

.....بعد أن قامتا بأنهاء طعامهن ذهبن إلى قاعة
المحاضرات، سار الأمر بشكل عادي، كما يسير كل
شيء في هذه الحياة، كان حادث عابرًا، ربما لن يرى
أحد منهم الآخر مجددًا. في الصف الأخير من المدرج،
شخصان يتحدثان مع بعضهما، فتاة وفتى ويبدو أنهم في
علاقة حب، فالمحب تفضحه عيناه، ويبدو أن طرفًا
منهما يبدو عليه التهجم.

" ماأنتمين، على رأي مرجان منتنين "

يسأل الشاب متحيرًا:

- الجميل زعلان ليه بس؟

تجيب الفتاة بحزن:

-لا مفيش.

الشاب وثار غاضبًا بشكل مصطنع:

-هتقولي ولا أظبطك دلوقت؟

تحولّ النبرة الحزّنة وتستبد النبرة الماكرة:

-يعني لو قُلت لك هتعمل إيه يا طارق؟

أجاب مماًزحاً:

-قولي أنتِ وأنا هتصرف، قولي بقا متخلنيش أضربك
دلوقتِ.

تخبره بنبرة خابثةً وتصطنع الحزن والانكسار:

-في بنت هزقتني النهاردة وكانت هتضربني يرضيك يا
قلبي؟

يجيب الشاب ما بين مماًزحة وجدية:

-لا طبعا وأنا هاخذ لك حَقك منها، متقلقيش أنتِ بس.

ثم أَرَدَف:

- أضحكي يا بت، مبيهونش عليّ زعلك، تعرفي يا
سارة أنا ممكن أعمل أي حاجة عشانك.

تبتسم الفتاة وينير ثغرها بتلك الابتسامة المخملية:

- أهو.

..في الصف الثالث من ذات المدرج، فتاة نائمة وتغط

في نوم عميق ولا تهتم لما يحدث حولها، في محاولة
بائسة، يائسة من صديقتها لجعلها تنهض قبل أن يلاحظ
الأستاذ الجامعي نومها ويطردها من محاضرتة.

ندى في محاولة بائسة لتستفيق الجثة التي بجوارها:

- قومي حرام عليكِ يخربيت شخيرك يا شيخة.

جنة تحاول فتح عيناها وبصوت ناعس:

-سيبني أنام والنبى، منمتش من امبارح وأنا بذاكر
للامتحان، اللي ضحك علينا ومجيش حاجة أصلاً أهو،
لا امتحان ولا بتتجان.

ندى وترمقها بحدة:

- قومي الدكتور هيشوفك وهنطرد قومي يخربيت كدا.

جنة:

-خليه يطرдна هكمل نوم برضو، لا أهتم.

أيام الصبا والذكريات العبثية تتوارد إلى ذاكرتي الآن،
عندما كان هناك شغف للحياة لدينا. عندما كنا نفعل كل
شيء بعبثية وبدون أن نعيّل بالأى مما نفعل. فقط كنا
نفعل ما نجده صائباً حتى وإن لم يكن كذلك.

الفصل الثالث (دفء المنزل)

بعد مرور يومان، مرا ككل الأيام الحالية أيام سريعة ومنتالية، تسير بوتيرة منهضة للواقع، تمضي بشكل عبثي وساخر. ساخر لأنه يسخر منا ومن أحلامنا، الوقت يسخر منا يا للعار.

رنين منبه مزعج في أرجاء غرفة تكاد أن تكون مثالية نوعاً ما. رف الكتاب هناك في الزاوية عليه بعض الكتب الدراسية والبعض الآخر من النوع الروائي.

طاولة في زاوية من زاويا الغرفة، مرصوص عليها مذكرات بعناية، أوراق متناثرة على أطرافها. أقلام موضوعة في عبثية شديدة، بدون أدنى حس بالترتيب.

هناك رف آخر أيضاً عليه بعض من ألعاب الأطفال المرتبة، تبدو قديمة ولكن من يمتلكها يحفظها بحالتها الأصلية. في أقصى يسار الغرفة هناك سرير تنام عليه فتاة، وبجانب الدرج المقابل لها ذلك المنبه المزعج الذي لا يتوقف عن الرنين. تبحث عن المنبه المزعج بيدها دون أن تزيل الغطاء عن وجهها:

- إيه دا أنتَ فين ها؟

تبحث على الدرج الآخر وتمسك المنبه وتقوم بأغلاقه
ومن ثم تقذفه بعيداً على الأرض وتكمل نومها مجدداً،
ليجري متدحرج على أرضية الغرفة المكونة من البلاط
محدث صوت مزعج ولم يهدأ إلا عندما ارتطم بحائط
الغرفة.

... في المطبخ تعد والدتها الطعام بمفردها، في حين أن
تلك الفتاة المدللة تغط في نوم عميق. تترك والدتها
المطبخ، وتدخل إلى غرفة تلك المدللة، لتوقظها وهي
متأففة:

-هو محدش بيصحي بدري في البيت دا أبداً، إيه دا بس
يا ربي أنا عملت في دنياي إيه بس قومي يلا.

تهمّ بالنهوض ومازال أثر النعاس جليّ على وجهها،
تلتقط بصيلات الشعر التي انسابت من يديها، وانسدلت
على عينيها ذوات اللون العسلي:

-صباحو يا أحلى أم في الدنيا دي كلها.

ترمقها والدتها بنظرة عابسة:

-ما لسه بدري على معاد صباحو دي أحنا الضهر يا
هانم.

تفرج عن ثغرها ضحكة هاربة:

- يا قلب قلبي أنتِ مش النهاردة إجازة خلاص أنا
براحتي أنا.

تزفر والدتها بحنق و غضب:

- أنا معرفتش أربي.

جنة تقاطعها لتكمل حديثها الذي تحفظه عن ظهر قلب:
- كل يوم أسمع أنا الكلام دا على الصبح. ياريتني كنت
خلفتها ولد وارتحت قال بنت قال البنات تشل وتجييب
الهم وتقصف العمر.

والدتها بحنق:

- قومي طيب عشان تشوفي أبوكِ عاوزك.

قفزت من السرير بحماس:

- حاضر أهو هقوم بسرعة.

- أيوه طبعا ..

تقاطعها لتردف حديثها الذي تسمعه يوميًا:

- ما أنتِ بتحبيه أكثر مني حافظة أنا كدا تمام.

* **

.... في مكان آخر من أنحاء هذه الأرض و في توقيت
مختلف.

وبالتحديد في الساحل الشمالي، الساعة الثالثة بعد
منتصف الليل.

يجلس وحيدًا وبائسًا، ممسكًا بيده لفافة تبغ ويدخن في
نهمٍ، ينظر إلى البحر وأمواجه المتلاطمة، وكيف أن تلك
الموجة تأتي بسرعة وتقفز الصدف على الشاطئ
وتسرقه علانية من جوف البحر، بدون أن يأذن لها.
وكانها تخبره بأسرقتك وأفنى ثروة جوفك وقلبك ماذا
ستفعل إذاً؟

وبينما هو في غارق وتائه في أعماق تفكيره، تأتي من
خلفه فتاة وتقوم بمعانقته.

- أنتَ صحيت أمتي؟

يترك لفافة التبغ من يده وينظر إليها بحب:

- أنا منمتش أصلاً يا سارة.

تجيب وتصطنع نبرة حزن باهتة وبدون أي مشاعر:

-مالك يا قلبي هو باباك اتخانق معاك تاني ولا إيه؟

أحتل الصمت وقتًا وكان ضيف ثالثًا بينهما، ولكنه

نفضه كمّا ينفض الغبار وأجاب:

- أيوه هو؟

لم يردّ أن يخبرها بمكنون قلبه، و أنه يشعر بالاختناق
ولا يعلم السبب، فقط يشعر أن روحه مثقلة وتائهة،
حتى أن السجائر لم تعد المسكن الذي يفرغ ما به من
فراغ. فراغ روحه وعقله. وهي بالطبع لم تهتم، إن
كانت تهتم ولو قليلاً لبقيت معه؛ لأنست وحدته وربنت
على روحه قبل ظهره. حتى أنها حاولت تذكيره
بموضوع تافه لا يستدعي كل تلك الضجة المثارة حوله:
-حياتي أنت عملت إيه في الموضوع اللي قولتلك عليه؟

يعقد حاجبيه مستغرباً:

-موضوع إيه؟

تصطنع بضع قطرات من الدمع، لا أعرف كيف ولكن
وارد أن أحداً يجيد فن التمثيل ببراعة تامة:
-أنت نسيت أنا ز علانة منك.

محدثاً ذاته في غضب:

-ميتين أم النكد.

يجذبها إلى يسار قلبه ويمسح دموعها بيديه:

-متز عlish بقا و امسحي دموعك وقولي ليّ إيه اللي
عاوزاه وأنا هعمله؟

ترد ف الفتاة:

- عاوزاك تاخدلي حقي من البننت دي اللي اسمها جنة.

يجيب مـمازحًا:

- اولعلك فيها يعني عشان ترتاحي.

تبدو أمارات الغيظ على وجهها:

- أنت بتهزري يا طارق؟

محدثًا ذاته:

- خنقتي أم طارق وأنا مالي بجنة ولا جنينة ولا جن

أزرق حتى.

ما زال يستفزها بحديثه:

- حاضر، حاضر لما نرجع البيت، أبقى أشوف الحكاية

دي.

تنظر له بحنق وإنفعال:

- لا دلوقت، وحالاً.

أستحوذ عليه الغضب كما لو أن مسًا ما أصابه، لم تـره

في هذه الحالة من قبل:

- قولنا هتصرف زفت أبو أم كدا، إيه زن، زن، زن إيه ارحميني؟

تركض باكية وتلملم أشياءها في بطء شديد عساه يذهب إليها ويطيب خاطرها، ولكنه لم يفعل، تسير ناحيته وتخبره في حزم بالرغم من دموعها التي تنساب من عينيها:

-طيب أنا همشي بقا، مشيني دلوقت حالاً.

يطرق النظر إليها ويرمقها بنظرة خاطفة، ويميل بوجهه إلى الناحية الأخرى متجاهلاً إياها.

تذهب إليه وتصارحه علانية:

-والله يا طارق أنت ما عندك ريحة الدم ها.

يجيب مماًزحاً:

-عارف.

... في مكان آخر، وجو مختلف كذلك، جو كلاسيكي قديم ربما. براندة تطلّ على شارع عمومي، وقعدة رتيبة. على أطراف سورها أصيص به زرعة نعناع.

شخص ما يجلس على مقعد خشبي و في يده اليمنى كتاب يتصفح وريقاته في نهَم، وأمامه منضدة صغيرة تحمل كوباً من الشاي يحتوي على بضع وريقات من

النعناع الطازج من ذلك الأصيل المنزوي في أطراف
البراندة. يفتح باب البراندة من الداخل وتطل سيدة سمحة
الوجه، وتدلف إلى المقعد المجاور له، دون أن تنبس
بكلمة، تضع يدها على كتفه برفق. يشعر بها، يأخذ يدها
برفق ويقبلها ويلتفت إليها مطرقاً، ويترك الكتاب من
يديه ويسألها في رفق:

-عاملة إيه يا ست الكل؟ تعالي اقعدى معايا.

تخبره بحنو:

-واضح أنك بتذاكر، لأعطلك يا بني عن مذاكرتك.

يجيب نافياً:

- لا يا أمي مفيش حاجة هتعطلني عنك وأنا حابب اقعد
معاكى شوية. وبعدين ما أنا بذاكر على طول يعني
مفيهاش حاجة لو خدت استراحة شوية.

تنظر إلى عينيه متألمة تلك اللمعة التي تشع وهجاً:

-هو في حد ولا إيه؟

بدت عليه علامات الارتباك:

- حد إيه بس يا أمي هو لازم عشان حابب أتكلم معاك
وأفصل عن المذاكرة شوية يبقي في حد برضو؟

تقطب جبينها في استهجان:

- عيونك فضحك وعمر كلامي ما يخيب.

يجيب وعلامة الخيبة بادية على وجهه:

- المرادي هيخيب عشان مفيش حد بجد.

تدعو له باسمه:

-ربنا يقربلك البعيد يا بني.

يجيب في عجل:

- يسمع منك يا رب.

تتركه بمفرده وتدلف إلى داخل المنزل لتتفحص نضوج

الطعام:

-واضح أنه مفيش حد.

تعرف صغيرها جيداً، لقد مر العمر سريعاً جداً هذه المرة. ولكن ما لا تعلمه، أنه لا يوجد أحد بالفعل. يدعو للشك ولكن بدون فائدة، شكاً فارغاً وحسب.. لا يهتم بقصص الحب الفارغة، ومع ذلك تجده يميل إلى قراءة الاشعار القديمة والرومانسية أيضاً. ما يهمله في هذا الوقت هو التركيز على دراسته وحسب.

الفصل الرابع (تسليية قادمة)

عادت سارة إلى منزلها وعلامات القهر بادية عليها
وستنفجر من الغيظ ربما، والسبب في هذا كله لأن
طارق المسكين غير مبال بها. ولأنها لا تجد لعبة
تُسلِّيها في وقت فراغها، أرادت أن تنتقم من فتاة بريئة
لم تفعل لها شيئاً سوى أنها ذات سمعة لا يشوبها شائبة
والجميع يحترمها بالرغم من عبثها الدائم إلا أنها محببة
إليهم.

ذكرني ذلك بشيءٍ كان يحدث أيام الإغريق لتسليية
الملوك والسلاطين، على ما أذكر وإن كانت ذاكرتي
تسعفني ونادرًا ما تفعل في الواقع.

كانوا يحضرون شخصًا يباع في أسواق الرق، في وقت
كان الحر يباع ويصبح عبدًا فقط، لكي يسلي الأسياد.

كانوا يحاصرونه بأسدٍ جائع جعلوه يتضور جوعًا إلى
ما يقارب الثلاث أيام، كانوا يعطونه حربة قديمة هالكة
ليحاول محاولة بئسة للنجاة من فك المفترس الذي
سينقض عليه في أية لحظة حاسمة، وفي محاولات

مستميتة ومشاهدة العبد وهو يجري لاهثًا يتصعب منه العرق ويدلف إلى جوفه الخوف والرعب، الخوف من المصير المعلوم الذي يحاول عابثًا إن يفلت منه، ولكن في نهاية الأمر تنتهي المطاردة العبثية ويفتك الأسد بالعبد فتغًا و يلتقمه في لقيمات تكاد أن تكون معدودة، وكل ذلك والسلاطين تشاهد ما يحدث له ويشربون النبيذ من كؤوسهم في بهجة وسادية لم تسبق، كان بعضهم يشجع ذلك الأسد أن يلتقم ذلك العبد من البداية. لم يمت العبد من قلة حيلته وإنما من احتفال الجمع الغفير والهتاف للأسد للفتك به.

الضغوط تجعلنا نستسلم أحيانًا حتى وإن كنا في كامل قوتنا، ما علينا إن أصبحت العبودية رغبة عارمة بعد أن كانت إجبارًا منفورًا في عقدًا مضى.

هناك أشخاص، حتى وإن لم تفعل لهم شيئًا، سيخططون لأذيتك. أنهم يتلذذون برؤيتك تعاني. هؤلاء موجودون في الواقع، حولك يا عزيزي، أنتبه.

تحضر صديقتها على وجه السرعة وتحاول معرفة ما بها، أو ما سبب كل هذه الجلبة. هل يبدو الأمر خطيرًا لهذه الدرجة التي تجعلها تستدعيها في هذا الوقت وبهذه السرعة، لا تعلم ربما؟

ما يوترها هو سيرها المستمر ودورانها ذهاباً وإياباً
بدون توقف في أرجاء الغرفة، مفكرة. تهمهم بصوت
غير مفهوم.

صديقتها شعرت بالدوار من تحركها بهذه الوتيرة
المزعجة:

- أقفي بقا وبطلتي تروحي وتيجي، خيالتيني.

تفرك كفّ بكفّ في غيظ:

- انتِ مش حاسة بيا أنا هموت والله.

تفرض تساؤلاً بوجه أبله:

-ليه بس؟

بذات الغيظ تردف:

-ولا البيه طارق كمان بيطنشني.

تقترح عليها إن تهاتفه من أجلها، لكي تنهي هذه المسألة
العبيثة:

-أكلمهولك تشوفيه؟

- لا متكلمهوش عشان أنا زعلانة منه بجد.

تصمم على قرارها وسوف تنفذه:

- أنا هكلمه وهصالحكم على بعض وتشوفوا حل بقا،
وبعدين أنت عارفة أن هو بيحبك.

* **

طارق يجلس بمصاحبة نادر في مقهى.

يحتسي قهوته بلا مبالاة كأنها شيئاً روتينياً أعتاد على فعله. بجواره علبة السجائر التي ما لبث أن اشتراها وها هي أصبحت شبه فارغة. يحمل بيده كوب قهوته التي يفضلها بدون سكر، لكي يتجرع مرارة القهوة لتنسيه مرارة الدنيا. وباليد الأخرى يحمل لفافة تبغ ينفثها في جفاء. يقرأ ما هو مكتوب على العلبة من تحذير في عبث. إذا كان التدخين يسبب الوفاة حقاً، لمَ مازال حياً بالرغم من شرايته؟

يحاول التحدث مع صديقه، ولكن يبدو أن صديقه يهيم في عالم آخر، يحتسي كوباً من القهوة و يقرأ في نهيم وريقات كتاب قصائد الحب لابن الرومي.

- نادر، يا نادر رد طيب عبرني إليه؟

صديقه لا يرد هل مات؟ لا يعقل. هو فقط هائم في عالم الكتاب السحري ويلتهم العبارات التي به، وربما يعشق

ما هو بادئ أمامه من تصورات شعرية تجعلك تهيم
عشقاً بزهرة اصطناعية ربما.

لقد ضاق ذرعاً منه، فهو يحادثه دون أن يجد إجابة أو
استجابة ولو حتى حركية وليست شفوية. يضرب بيده
في عدوانية غير مسبوقه الطاولة القابعة أمامه ومن ثم
يدمد صرخاً:
-نادر.

يستفيق من حالة الشجن التي كان بها ويجيب معتذراً:

-أسف مكنتش سمعك أيوه كنت عاوز إيه؟

يتحول من حالة العدوانية إلى الممازحة في لمح البصر:
- حد واخذ عقلك ركز معايا كدا، عاوز أشوف حل مع
سارة؟

يسأله مستغرباً من اهتمامه بها لهذه الدرجة:

-أنت بتحبها يا طارق؟

يجيب ممزحاً :

-مش حكاية حب، بصراحة مش عارف بس عاوزها
تحل عن دماغ أمي.

يسأل في بلاهة غير معتادة:

- طيب إيه الحل؟

يباغته بأسئلة لا يعرف لها جوابًا:

- أنا مش عارف أعمل إيه؟ أنا عاوز ارضيها بأي شكل، تفتكر لو نفذت اللي هي طلبته هترضى؟ خطة مثلاً و ياريت تنجح، عاوزني أعمل مشكلة للبت كدا بس مش فاكرا اسمها إيه دي؟

تظهر على وجهه إمارات الفزع ويسأل أسئلة عبثية:

- مشكلة ليه وإيه هي وازاي؟

تتطرق إلى رأسه فكرة تتم على أن عقله في حجم حبة الفستق:

- أنا عارف، أنا هعمل إيه.

..يقاطع حديثهم رنين الهاتف النقال المزعج والذي لم يتوقف عن الرنين. يرى من يهاتفه ولكن ما به من جلاء واستعلاء يمنعه من الاستجابة السريعة، يترك الهاتف يصدر مزيدًا من الرنين.

وبعد أن أكتفى من إزعاجه، يلتقط الهاتف ويجيب مماًزحًا:

- أيوه يا يارا. عاوزة إيه سارة؟

تجيب كاذبة وهو يعلم أنها كاذبة، ولكنه لن يخبرها
بالطبع:

- لا مش عاوزة حاجة هتكون عاوزة إيه؟
نزع عنه ثوب المزاح لتحل محله الجديدة:

-متكديش لو هي جانبك قوليلها أن طارق لاقى الحل
بس هي عليها حاجة صغيرة كدا.

تسأل في بلاهة، لا يرى بلاهتها ولكنه يعلم أنها بلهاء:
- إيه هي دي؟

-قوليلها تصاحب البت دي وأنا هقولها تعمل إيه بعدين.
-حاضر يا طارق هشوف.

وبمجرد أن تغلق الهاتف تسألها في فضول جمّ:
-ها في إيه ماله دا هيعمل إيه ها؟

تجيب في هدوء:

-هقولك بعدين، باين أنه بيحبك بجد، حتى وأنتِ
غلطانة.

بعد أن أغلق الهاتف يسأله صديقه في ضيق:

-طارق قولي هتعمل إيه؟

يرمقه بنظرة يعترئها الخبث وبممازحة:

-مش لازم تعرف.

.. وبينما همّا بمغادرة المقهى في عجل، أذ تدلف إليه الصديقتان جنة وندى، وبدون قصد أصطدم بها وأطرق النظر إليها وأخبرها معذراً:

-أنا أسف بجد مقصدتش يا أنسة.

تعقد حاجبيها وترمقه بنظرة حاقدة:

-ولا يهملك.

تتركه وتسير وهي تشتعل غضباً وتمتم بكلمات غير مفهومة، ولكنها على الأرجح تسبه أو تلعنه.

يخبر صاحبه عن تلك المجنونة التي لا تعرفه ولا يعرفها، وتنظر له بإذراء:

-مالها المجنونة دي؟

.. تسير باتجاه النادل، مقطبة جبينها في استهجان وتحادث صديقتها:

-شوفتي يا ندى دا أعمي، ولا أعمي يعني، وقال إيه بيقولي أسف، أسف بعد أيه، بعد مخلع كتفي.

تضع صديقتها يدها على رأسها في عجب:

-او مال كنتِ عاوزاه يعمل إيه يعني؟

تجيب في انفعال:

-بيص قدامه، يفتح، مش يعدي كدا وخلص أحنا بني
أدمين برضو.

- حقاك عليا في دي أبقى أمسك يافطة كبيرة،
مكتوب عليها أنا هعدي فتحوا يا بني أدمين.
- لا هربي كلب وأخذه معايا في كل مكان عشان
الناس تخاف.
- على كدا أنا متعرفنيش تاني، هي الحكاية فيها
كلاب .

- متخافيش ما أنا هدربه ومش هيعضك.
يحضر النادل كوبا قهوة ويضعهما أمامهما في ترتيب.
تناول صديققتها المجنونة كوب القهوة خاصتها وتقول
باسمة:

- مش هتشربي القهوة، ويلا عشان نمشي عشان
منتاخرش.

جنة:

-ماشي يلا.

علاقة الصداقة المخملية والمرحة، الأصدقاء كيف
أخبرك عنهم؟ أنهم حبات اللؤلؤ في حياتك، هم الروح
المحفزة. هم الداعمين الأكبر لك، فقط أحرص على
اختيار من يزهر قلبك. أنا أعتقد أن الأصدقاء رزق
أيضًا، والله يرزقنا بهم في غمّة انكسارنا لترميم
كسورنا وتطيب جروحنا. والأشخاص اللطفاء هم أكبر
وأهم الأرزاق بالنسبة لي، في عهد لم يعد هناك العديد
من اللطفاء. الذين يهونون علينا مثاقل الحياة التي باتت
تقسم ظهورنا قسمًا دون شفقة أو تأنّي.

الفصل الخامس (تريد الذهاب)

..تقف فتاتان يتحدثن مع منظم الرحلات في كليتهم
المصونة، وعلامات الضيق بادية عليهن.

تتحدث إحداهن في انفعال جليّ:

-إيه يا عم أنت مش هنطلع الرحلة المنيلة بستين نيلة
ولا أي؟

يعقد حاجبيه ويجيب في هدوء ممزوج بالجدية:

- يا ستي قولنا لازم توافق الجامعة الأول أنا مالي؟

تردف الفتاة الأخرى:

- مالك أزاى يعني، مش أنت منظم الرحلات في الكلية
بتاعتنا، ولا ملكش لازمة أصلاً؟

يجذب ثيابه ويكاد أن يمزقها في انفعال وتأفف وحنق:

-اطلع من هدومي يا ناس أموت نفسي يعني، خنقتوني
وجبتولي المرض، أنا كان مالي ومال التنظيم والقرف
دا كله.

تحاول فتاة منهما أن تهدي من روعه، وتفرج من
ثغرها ابتسامة ما لبثت أن أخفتها:

-خلاص يا عم مش هنتناقش معاك تاني.

. وبينما هم في عمرة حديثهم، تدلف إليهم فتاتان واحدة
تبدو عادية إلى حد ما، والأخرى ترتدي حقيبة "شانيل"
وحذاء "غوتشي" وثياباً من "ديور" وتضع مساحيق
التجميل التي تبرز مفاتها وللصدق تجعلها أجمل مما
هي عليه فعلياً، تتقدم إلى منظم الرحلة في دلال وتضع
يدها على كتفه وتخبره في رقة غير معهودة:

- في أي جماعة صوتكم عالي جداً، هو أحنا مش
هنطلع الرحلة يا حازم ولا إيه؟

يتجمد الحديث في حلقه ولا يستطيع أن ينبس بطرف
حرف، فقط ينظر إليها وقد تصبب عرقاً وخجلاً فلم
يسبق إن اقتربت منه فتاة بهذا الشكل المقرب ولم يسبق
أنّ عاملةً أحدًا برقة وود من قبل، فهو يتعامل مع
فتاتان أحدهما مصارعة والأخرى تذمه وتضربه على
كتفه وتنظر له بازدراءٍ كما لو كان حيوان راکون أو
قنفذ. تنظر الفتاتان في بلاهة وتخشب وجههما ومالت
إحداهن على الأخرى غير مصدقة ما يحدث، في ظلّ
نظرات الاستغراب.

يقطع الصمت صديقة الفتاة وهي تزمّ شفّتها وتسأل في
عجب:

- في إيه يا جماعة مالكم؟

تعتدل الفتاتان، وفتاة منهن قامت بالرد على سؤالها الذي
أضحى مستفزاً بالنسبة لها، ضابطةً أعصابها بصعوبة
بالغة من القرف، فهي تجد أن هذا الفعل شين ربما:
-لا مفيش عادي يا حبيبتني.

تتحدث الفتاة المدللة ذات الحقيبة " الشانيل " مع إحدى
الفتاتان وترمقها في نظرة محتقرة، ولكن تتدارك ذاتها
وتبدّل تلك النظرة فوراً قبل ملاحظة الفتاة القابضة أمامها
:

-أنا أسفة جدّا على أول مقابلة بينا.

ومن ثم تنظر إلى حازم في ود وتردّف:

-وأكيد حازم هيجل موضوع الموافقة متقلقيش.

ترمقها الفتاة باشمنزاز وتزمّ شفّتها:

-لا عادي، بتحصل.

تمد يدها لتصافحها في أمتعاض، وهي مجبرة كلياً:

- أنا بمد ايدي فممكن نبقي صحاب، ونفتح صفحة

جديدة؟

تتفادي يدها وتتجاهلها وتجيب في حنق:

- بعذرلك بس مش أي حد بقول عليه صاحبتني.

تجذب صديقتها وترحلان في عجل، لأنها وبكل بساطة لم تعجب بطريقتها البغيضة في البداية، وخصوصاً أنها لم تفعل شيئاً لها من الأساس.

بعد أن غادرتا، خرجت الفتاة عن شعورها:

- بتشوف نفسها عليا، هي فاكرة نفسها مين وديني لأعلمها الأدب.

تحاول صديقتها أن تجعلها تهدأ لأجل تنفيذ خطتهم التي أتفقوا على تنفيذها بدافع الملل والمتعة لا أكثر.
..قبل هذا الحدث بعدة أيام.

شابّ يطوق بذراعيه فتاة ويجذبها إلى يسار صدره لتلوجّ داخله. يتحدثان عن شيء يجب أن يحدث، أو عن شيء مبهم، الصوت يشبه الهمس ربما.

يخبرها بتأني:

- أفهمي يا قلبي لازم تعملي كدا.

تعقد حاجبيها في عدم استيعاب :

-أنا مفهمتش فهمني.

- أنتِ لازمِ تصاحبها وأنا عندي خطة عشان
تنتقمي منها وتعملي كل اللي أنتِ عاوزاه.

تسأل مستفسرة في غرابة غير معهودة:

-فهمت أيوه وبعدين؟

يرد في خبت:

- وبعدين هنعمل عقد عرفي، ونهددها بيه، وصدقيني
البنات اللي زيها بتخاف على سمعتها، وأكيد هتختفي
نهائياً بعدها.

تنظر له بدلال وهيام:

- وأنتِ هتعمل كل دا عشاني؟ أنا مكنتش فاكرة أنك
بتحبني كدا، بس أنتِ هتجوزني أنا طبعاً وكل دا تمثيل،
وأهو نتسلى شوية بدل الزهق.

أردف في حنو:

-طبعاً أنتِ بتقولي إيه بس، أنا بحبك ومستحيل أتخلي
عناك مهما حصل.

أراد أن يقترب منها ويقبل ثغرها، ولكن قاطعه رنين
الهاتف النقال الخاص به. أبتعد عنها والتقط الهاتف
وأخبرها، سيجيب على الهاتف ويعود مجدداً. تنتظره
إلى أن يعود، وتشعر كأن جبلاً أنزاح من على صدرها،

فهي تمقته وتمقت ذاتها و تكره ما تفعله. تحتقر ذاتها
يومياً. تكره أن يلمسها، تشعر بالقرف والتقزز.

تبكي كل ليلة دون أن يشعر، يحبها ولكنها لا تحبه هي
فقط تجلد ذاتها، فهذا ليس انتقاماً هذا غياب.

يتحدث خارجاً، ويبدو قلقاً ومنفعل نوعاً ما:

-أيوه يا بابا حاضر مش هعمل حادثة بالعربية متخافش.

يتحدث والده في غضب غير مبرر، وينذره كما ينذر
طفل ما زال في المهد:

-أنت مبقتش صغير وأنا مش هحذرك كثير فاهم ولا
مش فاهم؟

يجيب منكسراً:

حاضر أي خدمة تاني؟

يغلق والده الهاتف في وجهه، يعتريه الغضب والسخط.
يخرج علبة السجائر من جيبه في عجل، يبحث عن
الولاعة السوداء التي كانت في جيبه، يسحب لفافة من
التبغ، يشعلها وينفث في شراهة، و كأنما يريد أن تخرج
روحه والآن، هل جاهز لذلك اللقاء لا أظن وهو يعلم
ذلك. يدلف إليها ويجلس بعيداً عنها، ولا ينبس بأبي

كلمة. تقترب منه الفتاة وتجلس بجواره وبانفعالٍ
مصطنع، يخلو من أي مشاعر:

-سببتي وروحت تكلم مين يا طارق؟

لا يجيب فقط يفكر، دوامة سوداء تجذبه بداخلها، فقط
في حالة من الصمت التي أثقل مؤونتها.

تجلس بجواره في حنوٍ غير معهود منها، فهي غالبًا
تتمني أن يحترق في الجحيم، تشعر بلذة في جعله
يعاني، تشعر أن أساريراها تضجّ بالحياة عندما يتألم:

-مالك يا طارق في حاجة مزعلك؟

يجيب بخفوت:

- مفيش.

ومن ثم يبتلعه الصمت الخانق مجددًا. ماذا تتوقعون أن
يكون السر الذي يخبأه؟ وهل يبلغ به الفساد لدرجة أن
يؤدي إنسانة فقط بدافع المرح والتسلية لا غير؟

الفصل السادس (رحلة إلى المدينة الخلافة)

فتاة تتحدث مع والدتها في محاولة منها لتقنعها بذهابها إلى الرحلة، التي تخطط للاستمتاع بها منذ أن التحقت بالجامعة. ولكن والدتها توجس في نفسها خيفة من هذه الرحلة، وربما أصاب صغيرتها مكروهاً ما.

الرحلة كانت لمدينة سانت كاترين في شبه جزيرة سيناء، المدينة المثلجة التي تتساقط بها الثلوج فوق سفوح جبالها. بها أقدم كاتدرائية في العالم.

أعلى الأماكن المأهولة في سيناء، تقع على هضبة ترتفع 1600 متر فوق سطح البحر. تبلغ مساحتها 5130 كم مربع. تحيط بها مجموعة جبال هي الأعلى في سيناء، أعلاها قمة جبل كاترين، وجبل موسي، وجبل الصفاصة. أعلنت أنها محمية طبيعية بما لديها من أهمية طبيعية وتاريخية ودينية. بها كاتدرائية سانت كاترين (دير القديسة كاترين الأرثوذكسي) عند قدم جبل حوريب حيث حصل النبي موسي على لوح الوصايا، جبل موسي، مقام النبي هارون، قبر النبي

صالح. محميتها الطبيعية تحتوي على نباتات نادرة مثل:
شجر الزيتون، السموة، الحبك، الزعتر، الشيح،
العجرم، العتوم، البثيران، الطرفة، السكران.

وتكثر بها الزراعات المثمرة والينابيع والأبار ذات
الأهمية العلاجية والتاريخية مثل بئر زيتونة وبئر
هارون. أيضاً العديد من الحيوانات البرية والطيور
منها: الثعالب، الضباع، التيايل، الغزلان، الوعول،
الأرانب البرية، الذئب، القنفذ العربي، الفأر الشوكي،
الجربوع، الطريشة، اللقلق، النسر، العقاب، العومق،
الشنار، القطا المتوج، القمري، بومة بلتر، القنبرة،
الأبلق، التمير، الغراب، النعار، الدرسة، العصفور.

أرادت حقاً الذهاب وأيضاً للتعرف على المزيد من
العجائب، يقولون بئر هارون إذا رميت بها قطعة نقدية
وتمنيت يتحقق ما تتمني. تنتظر هذه اللحظة من أربع
سنوات، ها هي في السنة الأخيرة والوقت يمضي ولم
تذهب إلى أي رحلة من قبل. ولكن هيهات والدتها ما
زالت غير موافقة. ومع ذلك تستدرجها بعطف، وبعيون
تحوذها البراءة:

- يا ماما والنبي عاوزة اروح يا ماما.

والدتها بهدوء:

-لا مش هتروحي ودا آخر كلام عندي.
جنة تدبب بقدميها على الأرض، متذمرة في كدر:
-بس دا ظلم ها وأنا مش هسكت وهروح أقول لبابا.

ترمقها بنظرة الجندي المنتصر:

-وأبوك مش موافق برضو.

تخبطت في وجوم:

-والله كدا حرام.

تقترب والدتها في حنوٍ لتهدئ من روعها وتحتضنها:

- حاولي تفهمي أحنا خايفين عليك وأنا مش مطمئة
للسفريه دي.

تسقط من عينيها قطرات من الدمع اللؤلؤي كحبات
اللؤلؤ المكنون:

-بس أنا مش صغيرة يا ماما، أنا مش البنت اللي لسه
بتجرب تمشي، أنا كبرت وتعلمت حاجات كتير ومبقاش
يتخاف عليّ.

تردف والدتها في حنوٍ:

- بس أنتِ لسه في نظرنا طفلة و عيلة صغيرة كمان
ولسه بنخاف عليكِ.

تقاطعها في غمرة بكائها:

- بس أنا عاوزة اروح الرحلة دي.

في انهزام محارب شجاع بعد حربٍ طاحنة أطلق تنهيد
متحسرًا:

- رأسك ناشفة زي أبوكِ. أعمل إيه أنا فيكم، روعي يا
بنتي بس ...

تقاطعها الفتاة في فرحة غامرة متقافرة في أرجاء الغرفة
كالأرنب الذي هرب من براثن الذئب:

- هيببيبيه أيوه عارفة اخلي بالي من نفسي وماكلش
حاجة من الشارع ومسييش ندى، بمناسبة ندى هروح
أكلها.

وتتطلق مسرعة لتلتقف الهاتف النقال وتهاتف صديقتها،
عندما أجابت، تحدثت في وجلّ:

-ندى مش هتروحي الرحلة؟

تنصت إلى صوت اصطدام الهاتف بالدرج الخشبي،
إلى صرير احتكاك مفاصل الباب. صراخ لا يتبين

معالمه، تبدو مشاجرة ومشاحنة بين أطراف من هم بالمنزل. صوت صارخ مبجوح من كثرة البكاء:

-كفاية بقا أنا تعبت منكم خنقتوني.

بدت على وجهها علامات القلق والخوف ربما، متابعة حديثها عبر الهاتف متلعثمة:

- ندى في أي؟ ردي عليا.

الطرف الآخر في صمت تام.

تردف مجددًا:

-ردي عليا يا ندى في إيه والله هعيط؟

تنتظر في وهنٍ لعلها تجيب، ولكنها تفقد رجائها في النهاية. تغلق هاتفها، وتنزوي على ذاتها في وضعية الجنين باكياً، خائفة، قلقة على ما تمر به صديقتها، جمعياً مشاعر متضاربة في ذات الوقت.

* **

في مكان آخر في مقهى، شخصان يتحدثان بشأن هذه الرحلة أيضاً.

يسأل أحدهم مازحًا:

-أي كابتن حازم مش هنطلع الرحلة ولا إيه؟

يجيب بانفعال ونفاذ صبر:

-والله مش بأيدي الجامعة مش موافقة اعلمكم إيه؟

يباغته وتنفرج من بين ثناياه ضحكة خاطفة:

-مالك يا بني متعصب ليه بس؟

يجيب محاولاً تهدئة أعصابه:

-عشان كل مرة حد يسألني على الرحلة واروح

واترمط ويطلع عيني وبرضو ميوافقوش.

يحادث نفسه في غيظٍ، ويستخدم عقله الذي يوحى أن
هناك عنكبوتاً ماكتأ به، ويبدو أنه من يعطيه كل الأفكار
العبثية، وهنا يجب أن أعتذر للعنكبوت لأنني أهنت عقله
وهو أكثر ذكاءً بالطبع:

- إيه الحظ الفقر دا، أزاي هعمل اللي أنا عاوزه،
خلاص لقيتها، أي الدماغ دي بس أنا أتحدس عليها
بصراحة.

يحاول محادثته ولكنه هأم في براح عقله إذا كان لديه
عقل بالطبع:

-طارق، طارق، يا بني أنتَ روحت فين؟

نفض عنه أفكاره وأجاب:

-يا عم كنت بفكر، إيه مفكرش؟

يتركه ويسير خارجًا، ليبلغ البقية أن الرحلة التي
يخططون لها منذ الأزل، ألغيت:

-لا فكر براحتك مش همنعك أنا، سلام عليكو.

يخبره أن يبقى ليكون رفيقه في صمته:

-أي يا عم رايح فين قعدتك حلوة؟

يجيب في عجل:

-لا يا عم أنت فاضي أنا مش فاضي.

وعندما غادر أمسك مسرعًا بهاتفه النقال طالبًا رقم لأحد
ما، ولكنه لا يرد. يبدو أن من يطلبه ليس بجوار الهاتف
الغبي. ما زال مصممًا، ينقر نقرات سريعة عبثية
ويطلب الرقم كثيرًا. ينتظر قليلًا ويوقف سيل
المحاولات التي يحاولها في عبث. بعد برهة ليست
بهينة، يجد من كان يطلبه يتصل به.

يجيب في انفعال يحوذه الغضب:

-ليه مفتحتيش من أول مرة؟

- معلش مكنتش فاضية إيه؟ أنا مش سارة عشان
تاخذها على مزاجك.

يرد في غرور:

-كنتِ بتعلمي إيه يعني؟ وأنا الكل يفضي ليا، وأنا احط على أي حد فيكي يا بلد.

-عاوز إيه يا طارق؟

يرد في غرور يشوبه الممازحة:

-أيوه كدا اتعدلي، بصي الرحلة اتلغت عشان وش البومة، وفي تغيير في الخطة دلوقت، أسألي و قولي تغيير إيه؟

-تغيير إيه؟

يستعين بعقل العنكبوت الذي يقبع داخله، ويجب على سؤالها:

-فتحي مخك معايا، أنتِ اللي هتصاحبي البت دي أي كان اسمها؟ فاهمة وتصوري بطاقتها وأنا هتصرف بعدين.

- ليه كل دا طيب؟

لقد رفعت ضغطه، بالطبع لأن لديه عقل في حجم رأس النملة:

-مالكيش دعوة يا ياراء، أنتِ تنفذي وبس.

- خلاص يا طارق براحتك، بس ازاي هعمل
كدا؟

محادثًا ذاته، ولقد أتضح أن هناك من هو أكثر غباء
منه:

-يا ربي على الغباء كنت عارف هتسألني السؤال دا؟
يجيب شارحًا لها ما ستفعله:

-أفهمي يا أذكي أخواتك أنتِ هتكبي عليها عصير ولا
أي حاجة وتعتذري، وطبعًا هتروح هي الحمام عشان
تغسل العصير من على هدمها فهمتي يا بقرة ولا أقول
تاني.

- طب وصاحبته دي مبتسبهاش ولا لحظة؟
يجيب وقد شعر أنه سيغرق في دوامة من الغباء وأيضًا
صبره أوشك على النفاذ :

- أنتِ مكان دماغك دي في رابطة كرفس ما هي
هتروح معها الله يخربيت غباءك.

- طيب خلاص تمام فهمت، هنفذ أمتي؟
يردف منفعلاً:

-أقرب وقت، بكرًا مثلاً، ومع السلامة حرقتي دمي يا
غبية.

قبل أن يسمع أجابتها يغلق الهاتف في وجهها، ورماه بلا مبالاة. أخرج لفافة تبغ وظلّ يدخل بشرأهته المعتادة.

بالرغم من طلّة البهية، و وسامة وجهه. فهو يمتلك عينان بندقيتين. شعر بلون الكستناء. أنفه منمق ولكن يبدو من زاوية معينة كبير، ولكن لا بأس، لا أحد كامل فالكمال لله سبحانه وتعالى.

* **

ما زالت الفتاة باكيةً متخذةً وضع الجنين، قلقة وبشدة على صديقتها، تلتقف هاتفها مجددًا في محاولة يائسة، أن تجيب هذه المرة. تضع الهاتف على أذنها بصوت مختلطٍ بالبكاء:

-ندى ردي في إيه طيب؟ يا رب ترد.

وأخيرًا تجيب صديقتها بصوتٍ مبجوح:

- معلى يا قلبي شوية مشاكل بس، أنا تمام.

تردف في قلق:

-في إيه قوليلي؟

- أنتِ كنتِ بتعيطي عليا صح؟ يا بنتي مفيش

حاجة مستهلة.

- أيوه أنا كنت خايفة عليك.

ندى بلا مبالاة:

-يلا عادي أنا متعودة على كدا، هما كدا كل
شوية يتخانقوا ويتصالحوا تاني.

تسأل في هدوء:

-المهم أنك بخير؟

- أيوه بخير يا جنة متقلقيش والله. أستني كدا
حازم بيتصل هعلق المكالمة واكلمك.

تتحدث معه بانفعال وازدراء كما لو كان خنزيراً برياً:
أيوه يا زفت عاوز إيه؟

يقف الحديث في حلقه، متلعثماً محاولاً أن يطلق العنان
لما يريد أن يخبرها إياه وبشيء من الخجل:
بصراحة الرحلها تغلتو مشهنقدر نروح.

تردف بغضب:

-أنا مفهمتش حاجة أصلاً غير بصراحة وفين الباقي
متعصبنيش وقول على طول أحسنلك.

يجيب متردداً:

-حاضر استني عليا الرحلة .. الرحلة ..

- مالك خايف ليه؟ قول مالها الرحلة؟

يردف خائفًا:

- الرحلة اتلغت ها.

تتسع حدقتا عيناها في انفعال:

- نهارك أسود على دماغك، أنت عارف لو جنة عرفت
هتعمل فيك إيه؟

يجيب خائفًا:

- ياووه بقا هو كله بيجي على العبد لله ولا إيه، نوذي
بالله عليك متقوليش ليها؟

تحاول أن تتماسك وتقبض على ضحكاتها قبل أن تهرب
منها، وتفسد جدية الموقف:

- اقل يا حازم دلوقت وحسابنا بكرا.

تغلق مكالمته ضاحكة من براءته وخوفه، وخجله.

تتذكر أن صديقتها ما زالت تنتظر، فتتابع حديثها معها
وقبل أن تنطق تباغتها سائلة:

- إيه يا بنتي كل دا؟ في إيه؟

- هقولك بس متتعصبيش.

-قولي.

تخبرها في قلق، خائفة من ردة فعلها:

-الرحلة اتلغت.

تجيب ضاحكة:

- لا عادي اكيد ماما دعت عليها فأتلغت، وأنتِ عارفة
ماما سرها باتع.

تسألها ممازحة:

-يعني مش ز علانة وكدا؟

-لا طبعا دا أحنا هنفخ حازم بس لما نروح الكلية بكرا.
ندى:

- تصدقي كنت عارفة أنك هتقولي كدا.

جنة:

- أنا هقفل بقا عشان أروح أقول لبركتنا أنها اتلغت.

ندى:

-ماشي روعي.

تغلق المكالمة في عجل وتذهب لرؤية والدتها، لتخبرها
بالنبا السعيد الذي سيقرّ عينها ويطمأن قلبها. تدلف إلى
غرفة والدتها متغنية متراقصة في عبث:

والرحلة اتلغت، اتلغت، اتلغت، وسمعتني أحلى تحية
لست الكل اللي دعواتها مستجابة.

تخلع والدتها النعال من قدمها، وتقذفه عليها في انفعال،
مثلما كان يصطاد الإنسان في العصر الحجري القديم
باستخدام الرمح. لا أخفي عليكم أمرًا قلّمًا تخطئ الأم
في تصويبها، فهي تصوب بدقة تامة، كما لو أنها تمتلك
بندقية من نوع النقار. للأسف لقد هربت مسرعةً، دون
أن يصيبها النعال.

تعود مجددًا في استفزاز:

مجاش فيه برضو المرة دي عا.

-تقلب والدتها كفّ بكفّ:

فوضت أمري إليك يا رب، في بنت العبيطة دي.

لن توجد أفضل من كلمات محمود درويش في هذا
الموقف:

الفرق بين أمي والآخريين: أن الآخريين يتمنون ألا
يروني حزينًا، أما أمي فتتمنى أن تحمل الحزن عني.

الفصل السابع (يوم عبثي)

... في اليوم التالي، تستيقظ متناقلة الجفون، يعتربها الكسل، تقرر بشكل جدي عدم الذهاب اليوم ومتابعة الدراسة عموماً. تستجمع شتاتها وتتذكر أن ندى أخبرتها أن الرحلة ألغيت، تشعر بغضب شديد، لقد كانت تريد الذهاب بشدة، كانت تخطط للأمر عندما أعلنوا أن هناك رحلة ستنظم. لقد كانت تحلم أن تذهب وبعد أن حصلت على الموافقة ها هي ذي لن تذهب.

تحادث ذاتها وتتوعد:

-والله لأوريك يا حازم الزفت.

تنهض في كسل، ترتدي ثيابها وتلملم أغراضها وما تحتاجه من كتب. وعندما انتهت سارت متجهة إلى باب الشقة لتهم بالخروج. يصدر صوتاً خافتاً من المطبخ لا يتبين معالمه، سيدة تسير بهرولةٍ للحاق بصغيرتها التي ذهبت في عجلٍ محاولة اللحاق بها.

تهتف في حنو:

-جنة استني يا بنتي، خدي هنا.

تعود في عجلٍ وتلبى النداء. قد تأخرت بالفعل:

-أيوه يا ماما أنا مستعجلة جدًا، يا ماما هتأخر.

تنظر لها بوردٍ، وتمد لها يدها بعلبة لحفظ الطعام:

-خدي السندوتشات دي طيب.

تزفر في عجلٍ، وتسال في عجب:

-يا ماما حرام عليك أنتِ أخرجتيني عشان سندوتشات؟

تردف والدتها في حنو:

- دي سندوتشات مربى مشمش، اللي بتحبيها.

تظهر على وجهها علامات الامتنان ويبتسم ثغرها:

إذا كان كدا ماشي.

تأخذ العلبة منها وتردف في مزاح:

-سلام بقا يا ست الكل، ادعيلي.

تدعو في حب:

-ربنا يحرسك يا بنتي.

. تذهب مسرعة تنتظر أي حافلة لتستقلها، من حسن

حظها وجدتها سريعًا وصعدت إليها لتذهب إلى جامعته

المصونة. بعد مضي وقت ليس بالقصير ولا المديد

تصل إلى وجهتها. وعندما وصلت ظلت تبحث عن
حازم كما يبحث النسر عن فريسته.

وعندما فقدت الأمل سألت عنه صديقتها في انفعال:

-ندى هو فين ها هو فين؟

تتكمش صديقتها وتتصنع الخوف:

-مالك بس في إيه، ومين دا اللي بتدوري عليه؟

تجيب غاضبة، محتقنة الوجه إذا نظرت لوجهها ستجده
أصبح مثل حبة الطماطم:

-فين الزفت حازم دا؟

تحاول تهدئتها، وهي تكتم ضحكها على احتقان وجهها:

- أهدي بس وهو هيجي.

تلتقط ندى هاتفها وتتصل به ولكنه لا يرد، فتحاول
الاتصال مرة أخرى. يجيب في هذه المرة، تخبره في
انفعال:

أيوه يا زفت أنت فين؟

-أهو قربت اوصل ليكم والله.

بقلقي مصطنع:

-اجري يا حازم اجري متجيش.

مستغرب من حديثها فهي لا تقلق عليه مطلقاً، وإنما
تستسيغ أن تراه يهان:

-ليه بس اديني وصلت؟

تردف في وجل:

-يا عم بقولك اجري أنت لسه هتستفسر؟

جنة تنظر يمين، شمال، جنوب، فوق، تحت، وتدور
وتلتف حول المكان. من بعيد تلمحه بعيون حادة
وتهرول إليه، وتقبض عليه قبل أن يهرب في حركة
مباغته، حتى أن ندى لم تلاحظ متى قفزت من جوارها
وأمسكته من رقبتة تريد خنقه.

تعتريه حالة صدمة وضيق أيضاً لم يتوقع هذا الشيء
منها، فهي حتى لا تمد يدها وتسلم عليه مجرد سلام، و
ها هي ذي تريد قتله:

-جنة بطلي هزار سببي رقبتى هتخلع في أيديك يا
مفترية، مش قادر أتنفس بجد والله.

ما زالت مصممة على قتله، وقد ترقرقت الدموع في
عينيها:

- أنا هقتلك لالالالالا، وبعدين ليه الرحلة اتلغت ها،
هااااا ليه؟

تضييق أنفاسه، وبجدية يتخللها المزاح:

-طيب سيبي رقبتي يا قرده وأنا أفهمك.

تهدا وتتركه مبتعدة عنه، ولا تدري كيف فعلت كل هذا
العبث في نوبة غضبها:

-ماشني يلا فهمني دلوقت، فهمني.

تهمس له ندى بصوت خفيض ممازحة:

-مش قولتلك أهرب أنت اللي مسمعتش كلامي، أشرب
بقا!

يهندم ذاته ويحاول أن يشرح لها في تأن، لأنها تمتلك
دماغ لعبة بلاستيكية:

- الجامعة هي اللي مش موافقة مش ذنبي أنا، الله هو
كل حاجة حازم، حازم. بصوا بقا شوفلكم حد غيري، أنا
زهقت.

جنة تنظر له بدم وتضييق عينيها:

-يعني أنت لازمك أي أصلاً؟

يجيب منفعلاً وتبدو عليه أمارات الضيق جلية على
وجهه:

- يا ستي أنا فاشل، فاشل، فاشل، منفعش لأي حاجة
استريحتي.

تمر يارا عليهم وتسير نحوهم وتدلف لتسلم عليهم،
وكانها كانت عابرة بالصدفة البحتة.
يارا بنبرة هادئة:

-أزيكم يا جماعة، مالكم في إيه ليه بنتخانقوا؟
جنة تجيها وتنفرج عن ثغرها ابتسامه هادئة:

-لا مش بنتخانق ولا حاجة بنتكلم بس مع بعض. تعالي
اتكلمي معنا.

تلكزها ندى في ذراعها، بدون أن ينتبه أحد وتخبرها في
همس:

-أنتِ ازاي تخليها تقعد معنا دي صاحبة العقربة؟
جنة بهدوء يرتسم على ملامحها:

-بس هي معملتش معنا حاجة وحشة.
تخبرها في جزع:

-قلبك دا موديك في داهية والله.

ينسحب كما ينسحب القط عندما يطارده الكلب، ويهرب
من تجمعهم ويزفر ويتنفس الصعداء:

- يا ااه أخيراً خلصت من المجانين، بس بحبهم والله.

وبينما هي تتحدث معهم بحركة فجائية بيدها وبطريقة قد تبدو طبيعية، تسكب العصير الذي على الطاولة ناحية ثياب ندى وجنة.

حينما أنسكب، أنسدل على الطاولة و لوث ثياب الفتاتان بدأت على وجهها علامات الخوف والرعب، واسترسلت من عينيها دموع مزيفة:

-أنا، أنا أسفة، أنا مكنتش أقصد، جنة أسفة.

تبتسم لها ابتسامة هادئة، وتحاول أن تهدئ من روعها:
-ولا يهملك يلا يا ندى بينا عشان نغسل العصير دا، قبل ما ينشف.

يتركنها ويذهبن إلى دورة مياه الكلية لينظفن ثيابهن من آثار العصير في ظلّ هذه الجلبة نسين حقائبهن، بسبب ارتباك الأجواء الذي حدث للتو. لقد كان مشهداً سريعاً ومباغثاً. ولأجل ذلك حباً بالله لا تتركوا حقائبكم أو أغراضكم في أي مكان، يمكن أن تتعرضوا لسرقة مثلاً لا قدر الله.

استغلت ذهبهن وفتشت حقيبة جنة في محاولة لتجد
بطاقتها الشخصية، كان العرق يتصبب منها والخوف
يتملكها، ولكنها لم تكن تهتم. عثرت على مرادها، قامت
بتصويرها بواسطة هاتفها النقال. أعادت الحقيبة كما
كانت في عجل، كانت خائفة أن يراها أحد، أو أن
يдахموها في أي لحظة خاطفة. تعدل من جلستها،
جالسة في ثبات، لا يبدو أنها فعلت شيء، يرتسم على
وجهها الهدوء. تجيد التمثيل براعة شديدة، مثل الحرباء
التي تسكن الغابات، لديها قدرة غريبة على التكيف في
أي مكان، تجيد أيضًا بتبديل لونها على ما يناسب البيئة
التي تحيط بها.

تباغتها ندى قبل أن تأتي جنة وتتنظر ليارا نظرة غيظ
واحتقار، وتخبرها في نبرة حادة يتخللها التهديد
الصريح:

- عارفة يا يارا لو حاجة حصلت لجنة، حتى لو مجرد
تفكير بس مش هتعرفي إيه هيجرلكم مني وأنا عارفكم
أنتوا ميجيش من وراكم خير أبدأ.

تأخذ أغراضها وتذهب في ارتباك ظاهر على ملامحها
دون أن تنبس بحرفٍ واحدٍ ولم تنطق. تعلم جيدًا أن ندى
لا يهتمها أحد، ولا أحد يستطيع تهديدها أو محاولة
أذيتها. ينتاب ندى القلق وتشعر أن هناك شيئًا ما

سيحدث، لأنها تعلم جيداً ما يمكن أن تفعله سارة لتتسلي
وحسب.

* **

.. في منزل هادئ وقديم الطراز يتخلله الدفء وتملأه
السكينة كما تملأ الشمس الدنيا وهجاً ونوراً.

يتجمع ثلاثة أشخاص في غرفة السفرة ليتناولوا
الطعام، وتبدو الأجواء حميمة للغاية ودافئة.

يتحدث أحدهم في مسرّة:

- تسلم ايدك يا ماما.

يشعر الشخص الآخر بالغيرة ويباغته مماًزحاً:

-دي أمي أنا يا طارق ومش عشان قعدت عندنا
هتاخذها مني.

تنهره والدته، وتجيب في حنو:

-بس يا بني، طارق ابني زي ما أنت ابني مفيش فرق
ما بينكم.

طارق يسرّها في نفسه:

-لا عادي.

ناهضاً من على سفرة الطعام، بدون أن ينبس بكلمة.

ينظر له نادر بعجب:

-خد يا بني رايح فين كمل اكلك هتمشي كدا؟

يذهب فقط دون أن يتحدث، لا يرغب في الحديث.
أحيانًا تثقل أرواحنا، للدرجة التي لا نستطيع البوح بما
يؤلمنا.

والدته تلكزه وتنظر له في عتب:

ينفع كدا تكسر بخاطره، قوم فز صالحه يلا وإلا والله
لو ماصلحتوش لا أنت ابني ولا أعرفك.

ينهض من مقعده للحاق به:

لا طبعا مقدرش على زعلك أنا هروح أصالحه حاضر.

..يسير وحيدًا مهرولًا تكاد أنفاسه أن تنقطع. يجري

وراءه نادر في محاولة للحاق به:

-طارق استني يا بني أنت هتفضل مجريني وراك كدا
كثير يعني ولا إيه؟

لا يرد عليه فقط يكمل طريقه، لا يريد أن يتحدث، لا
يبيغى أن تتعري روحه، يريد أن يظهر قويًا و شامخًا.

نادر لاهتًا لقد أرهقه الجري كثيرًا:

- يا بني أنت مجريني وراك حرام عليك بقا نفسي
أقطع، عربيتك طيب هتسيبها؟

يجري وراءه هذه المرة بسرعة أكبر. يلحق به أخيرًا،
ويضع يده على كتفه، ويلف يده الأخرى على عنقه
ويردف مازحًا:

- أي يا عم أنت زعلت ولا إيه؟

طارق بنبرة يعترئها الحزن:

-أنا مزعلتش بالعكس دا أنا مبحسش بالأمان إلا معاكم
بحس أن أمك هي أمي، وإن كان العشم واخذني حبتين
أنا أسف يا نادر أنا مقدرش أني أخذ أمك منك بس أنا
فاكر أننا أخوات.

نادر بنبرة ساخرة:

-متقولش كدا يا عبيط وبعدين أنت عارف أني مقدرش
أعيش من غيرك؟

بيتعد عنه ويتملص منه مازحًا:

-إيه دا أبعد عني، أنت هتصحبني ولا إيه؟

نادر يقترب منه في مازحة ويغمز له بطرف عينه:

-يا عسل أنت يا طعم يا نيتي، تعال في حضن عمو.

طارق يقلد صوت فتاة ضاحكًا:

-يلهههههوي بيتحرش بيا يا مصيبيتي.

-أنتِ بتغيري ولا أي يا بيضة؟

يركضان وراء بعضهما في تصرف كما الأطفال الصغار، يفضلون أن يكونوا صغار على أن يكبروا، كبرت أجسامهم ولكن عقولهم لست أدري؟ تشعر أن عقولهم مثل حبة الجوز، كعقل طفل ما زال يحبو، وأحيانًا أخرى تشعر أنهم ناضجون ومسؤولون تمامًا ويمكن الاعتماد عليهم كليًا. أنهم الحالتين، يمكن أن يتواجدوا في كلتا الحالتين، قلوبهم نقية جدًا يشوبها بعضًا من الشر، الذي هو أساس طبيعي في تكوين شخصية الإنسان والنفس البشرية بشكل عام. منذ فجر التاريخ ونحن بنا نزرع الشر تلك، كل إنسان هو قاتل ولكنه لم يأخذ فرصته بعد.

الفصل الثامن (الخطة العبثية الجزء الأول)

...لقد نفذوا الجزء الأول من هذه اللعبة العبثية والتي
بت أراها سخيفة بعض الشيء، فمن العبث أن أؤدي
إنسان لأجل أن أتسلي، هذا غير مقبول، أي إنسان يمكنه
أن يفعل ذلك هو إنسان مختل عقليًا بالتأكيد.

تجلس فتاتان وتحدثن في كافتيريا الكلية، أمامهن بقايا
ما أكلن، تلوك إحداهن اللدان وتحرك فكيها كما تحركه
بقرة تراعي في حقول إيرلندا.

تتحدث إحداهما في استعطاف:

- لا حرام يا سارة مش معقولة نأذي جنة بالطريقة دي
،هي متستهلش كدا مننا.

تجيب بغرور تام:

- أنتِ قلبك رق ولا إيه؟

تتحدث و تبدو على وجهها علامات التردد والخوف:

-مش حكاية رق، حكاية أنها طيبة ومتستهلش كدا.

تسألها في وجلّ ممزوج بالخبث:

-أنتِ نسيّتي هي عملت إيه فيا ولا إيه؟
-أنتِ عارفة كويس، وأنا عارفة أنك أنتِ اللي غلطانة
مش هي.

تجيب في غرور وتعال:

-لا مش غلطانة أنا مبغلطش، وبعدين أحنا لو اتسألينا
شوية مفيش مانع.

كانت ستتكلم وتتجادل معها على أن تنفيذ هذه اللعبة
يبدو سخيّاً فهذه الفتاة لا تستحق منهم ذلك. ولكن قبل
أنّ تنبس بحرف، دلف إليهم طارق وصديقه، ليجلسا
معاهم. لحظة صمت .. يقطعها النادل بابتسامة خفيفة:
-هتطلبوا إيه يا فندم؟

طارق يوماً له في هدوء:

-عاوز الطلب المخصوص بتاعي، شوف الباقي أنتِ
بقا؟

سارة برقتها المعتادة:

-أنا عاوزة كابتشينو و ياريت سكر خفيف.

طارق يهمس لها بحب وهيام:

-ليه سكر خفيف؟ وأنتِ النوتيللا كلها.

تردّف بذات الهمس وحبّ مصطنع، فهي بداخلها تكرهه
وبشدة:

- معلى يا بيبى عاملة دايت.

يقاطع همسهم يارا وهي تتحدث بصوت مرتفع قليلاً،
وتتطلب كوباً من عصير الليموناضة.

يطلب نادر مازحاً:

في شاي؟

النادل وتعلو وجهه ابتسامةً هادئةً:

-في يا فندم.

يردّف ضاحكاً، وهو يستخف دمه، فهو يعلم أنّ طلبه
غير موجود:

-بنعناع طيب؟

النادل بذات الابتسامة الصغيرة:

-لا يا فندم الطلب دا مش موجود.

يخبره بطلبه الجديد:

-لا بص اشطب الشاي وهاتلي قهوة.

..يشطب الطلب ويكتب قهوة، ها هو ذا يذهب ليحضر طلبه، وعندما تحرك بضع خطوات أوقفه نادر وتبدو على وجهه البلاهة والاستفزاز:

-ولا أقولك اشطب القهوة وهاتلي شاي؟

يقف النادل في هدوء وهو من داخله يسب ويلعن، ولكنه أعتاد على مازحة نادر له، فهو يفعل ذلك كل مرة. يشطب الطلب السابق ويكتب شاي بديلاً للقهوة، وتغيرت تعبيرات وجهه من الهدوء إلى الاستياء:

-تأمر بأي حاجة يا فندم؟

نادر وقد أحس أنه أستثقل دمه كثيرًا هذه المرة وأعتذر له على مازحته الثقيلة:

-لا شكرًا هاتلي الشاي و بعذر على لخبطتك من الأول.

في الجانب الآخر عصافير الحب يتحدثون في هيام.

سارة تسأله في ود و رقعة:

-طارق ممكن طلب؟

طارق يمسك يدها ويطلع عليها قبلة برقة:

-طبعًا يا حياتي، أنتِ تأمري.

تردف بلامح بريئة يتخللها الخبث، فهي تستخدم

الاستراتيجية المعاكسة التي تؤتي ثمرها دائمًا:

-بلاش نأذي جنة، دي طيبة ومتستحقش كدا.

لقد نسى ذلك الموضوع كلياً ولكنها ذكرته به:

-فاكرتيني بالموضوع دا، تمام هنفذ من دلوقت.

يتدخل نادر في حديثهم ويسأل في عجب:

-موضوع أي دا بقا؟

تعلو وجهه ابتسامة تدل على الذكاء، وهو بذكاء الحمار،

أكاد أجزم أنّ الحمار يمتلك دماغاً أعقل منه:

-هتعرف بعدين.

يلقي نظراته على يارا:

-فين اللي طلبته؟

يارا تخرج هاتفها من حقيبتها في تردد وتعطيه له:

-أهو يا طارق اتفضل.

طارق:

-هاتي كدا ورقة وقلم وأكتبي.

..تأخذ يارا ورقة من دفتر، من حقيبتها وتكتب ما يمليه

عليها، خطرت على بالها أسئلة كثيرة وأهمها من سيوقع

على وثيقة الزواج الزائفة تلك؟ ومن سيكون الشهود

أساساً؟ فهي وثيقة باطلة وعبثية، نفذ كل تلك الأسئلة

من عقلها وأخبرها أنها هي من ستوقع مكانها ومكان
الشهود أيضاً، ففي النهاية من سيصدق أنها لم تفعل
شيئاً؟ السمعة الطيبة تبنى في سنوات، وتدميرها
يستغرق لحظة واحدة، سواء أكانت تلك اللحظة حقيقية
أم كاذبة لا يهم؟ ما يهم أن السمعة هشة جداً مثل عش
الطيور الهين يستغرق بناءه شهوراً، ولكن هدمه لا
يستغرق ثانية واحدة. بعد أن انتهت من كتابتها أخذها
منها، وطلب من سارة تصويرها نسخاً كثيرة لينفذ ما
يدور في عقل الجوزة العفنة التي في جمجمته.

غادر هو وحبيبته، وترك نادر ويارا مع بعضهما. نادر
لا يفهم ما يحدث، ربماً أختلط عليه الأمر قليلاً، يفرض
سؤالاً على شريكته في العبت ولعب الأطفال:

- في إيه يا يارا؟

- مش عارفة أقولك ازاي يا نادر، مش هقدر
أقولك؟

نادر وتبدو على وجهه علامات الفزع:

- لا قولي وخلصيني في إيه انطقي؟

يارا و تجمعت في عيونها دموعاً حقيقة وصادقة هذه
المرّة:

بص أنا مش عارفة أقولك أزاي وليه وإيه اللي حصل
أو ليه؟

نادر ينظر لها في استغراب:

قوليلي بس في إيه؟

* **

في مكان آخر في وقت ما من اليوم، منزل بسيط
ودافئ.

منزل فتاة مشاغبة، نحيلة الجثة، تمتلك عينان يمتزج
فيهما اللونان الأخضر والبني، تمتلك وجهًا بملامح
بريئة وطفولية، تبدو مثل فتاة في السابعة من العمر.

والدتها في المطبخ، تعد طعام الغداء. والدها يجلس في
الشرفة مرتدي نظاراته يقرأ الجرائد كما جرت عادته،
يحب أن يقرأ ويعرف ما يجول في العالم، وما يحدث
في البلاد.

وبينما لا ينتبه لها تتسحب خلسة مثل اللصوص وتأتي
من خلفه وتضع يديها على عينيه في مشاكسة كطفل
صغير.

رفع يديه وأزل يديها بهدوء:

-أنا عارف أنك جنة يا بكاشه.

تجيب في خجل وممازحة:

-ياووه يا بابا أنت كل مرة كدا تعرفني.

يجيب في حنو:

-عشان أنت بنتي وأنا بحس بيك، وكمان محدش بيعمل

حركات العيال دي غيرك.

ثم أردف متعجبًا:

- يعني أمك هتعمل كدا؟

تسأل في تمني:

-ياريت ماما زيك كدا!

يردف ممازحًا:

-أنت بس اللي دماغك ناشفة.

تسمع والدتها حديثهم عنها وتدلف إليهما رافعة حاجبيها

ثم تزم شفتيها:

-جايين في سيرتي يعني، يا تراه خير ولا شر؟

تنظر إلى والدتها في احترام:

-خير يا ماما خير، ياريت بس تبقي لطيفة وظريفة كدا

وأنا هحبك والله.

تبدو على ملامح والدتها الحزن:

-شوف يا قدرى بنتك بتقول إيه شوفلك حل معها؟
يخبرها في هدوء:

-هي يعني عملت إيه؟ دي السكره بتاعتنا.
تردف والدتها في تهكم:

-دلوقت أنا اللي طلعت وحشة صح؟
تذهب بجوار والدتها وتقبل يدها:

- متقوليش كدا أنا من غيرك أموت أصلاً.
والدتها في فزع وحنو:

-بعد الشر عليك من الموت أنتِ حته مني ومن قلبي
أزاي تهوني عليّ، أنا بس ساعات ببقى عاوزاك تتعلمي
وتساعديني وتسمعي كلامي؟

يردف في تعجب من حالهما الذي يتغير في ثانية:
سلام على الحب يا سلام عسافير الجنة يا ناس.
جنة:

-يا بابا أنتِ أتعودت علينا خلاص، أنا وماما هنفضل
كدا دايمًا.

* **

طارق يدلف إلى السرايا خاصته كالعادة ولكن المفاجأة،
يجد والده في انتظاره، يجلس على الكرسي الخشبي
الذي يتنصف قلب السرايا، كاشر الوجه، قاسي الطبع،
يحمل عصا غليظة يتوكأ عليها أحياناً. تظهر علامات
الصدمة على وجهه فهو لا يعرف ما الذي أتى به إلى
هنا؟ ليس من المفترض أن يأتي، حمد الله كثيراً أن
سارة لم تأتي معه، فهو يعلم أن والده يمقتها.
ظل الصمت حليف المكان إلى أن تحدث والده في شدة
و غضب:

-شرفت يا سعادة البية، مش بشوفك يعني في الشركة؟
يجيب بلا مبالاة ويضع يده في جيب بنطاله:
-وأعمل فيها إيه يعني؟

ينهض والده من على كرسيه ويردف غاضباً:
أزاي تعمل إيه أنا عينتك مدير للشركة دي وحضرتك
نايم واكل شارب بتاخذ فلوس ومعاك عربية بالجاهز
كدا؟

-والمطلوب إيه دلوقت؟
والده في شدة:

أنك تنزل الشغل وتبطل أمور الصياغة بتاعتك دي فاهم
ولا مش فاهم؟

وما أنّ أنهى جملته، غادر وترك المكان والغضب ما
زال يعتريه، فهذا الولد المدلل والفاقد، والذي لا يعي ما
يفعله ولا يعرف الصواب من الخطأ يجيب أن يتأدب،
وأن يأخذ على أذنه ويضرب على رأسه.

يجلس مكان والده ويقلده في سخريّة:

- تبطل الصياغة بتاعتك فاهم ولا مش فاهم؟

ثم يردف:

- هو مش عارف إنه ميهمنيش ولا إيه؟

الفصل التاسع (مختل)

.....بعد عدة أيام من تنفيذ الجزء الأول من الخطة العبثية، ها هم ينفذون الجزء الثاني. يذهب أحد ما إلى المكان الذي تسكن به جنة. ويطرق الباب، ومن ثم يترك رسالة أمام الباب ويغادر مسرعًا. تسمع والدتها طرق الباب وتذهب مسرعة لترى من الطارق، ولكن لا تجد أي شخص. فقط تجد مظروف أمام عتبة الشقة، مكتوب عليه اسم صغيرتها. تلتقط الأم المظروف بدون أن تفتحه وتبدو علامات العجب والصدمة على وجهها: يا تراه إيه الرسالة دي وإيه فيها؟ ومكتوب عليها اسم جنة بنتي ليه؟ هروح اصحبها واشوفها يمكن تعرف عنها حاجة؟

.. تغلق الباب وتذهب مسرعة إلى غرفة ابنتها، وتفتح باب غرفتها وتصيح في انفعال:

-قومي يا حيوانة أنا عايشه مع حيوانة.

تستيقظ في فزع وتحاول استيعاب ما الذي حدث، لقد كانت نائمة لم تفعل شيئًا يغضبها حتى؟

-إيه في إيه يا ماما حد مات ولا إيه؟

- أنتِ تتحه ومعنديكش دم ربنا يخدك عشان
ارتاح منك ومن قرفك.

ما زالت مستغربة ما يحدث:

- أزاي اسيبك بس يا قمر أنتِ بس ياتي كميلة.

تردف والدتها في غضب:

-خدي الجواب دا باسمك جالي النهارده.

تسألها في عجب وعلامات البلاهة بادرة على وجهها:

- جواب وأحنا في عصر الفيس بوك و الواتساب و إي
أس أم، مين العبيط دا؟

والدها تزفر في انفعال وترمي لها المظروف أمامها،
وتذهب لتكمل أعمالها:

-خديه وأنا همشي جبتيلي الجلطة.

تتناول هذا المظروف بعد أن تذهب والدتها، وتفتحه
باستهتار لتجد به رسالة وتتنظر إلى ما بداخلها، فتجد
أنها خالية تمامًا لا يوجد مرسل أو توقيع، فقط كلمة
واحدة " أنتِ مراتي " .

تجاهلت الرسالة والموضوع تمامًا، وظنت أن شخصًا
ما يمزح أو يدبر مقلبًا ما، أو ربما جارهم الذي يرمقها

بنظرات غريبة كلما رآها، أو ربما الطفل الذي يقوم
بمعاكستها، ولكنه لا يعرف الكتابة حتى !
بعد أن حاولت تشغيل عقلها كثيرًا وتعبت من التفكير.
قامت بطي الرسالة ورمتها في سلة المهملات، وعادت
لتكمل نومها مرة أخرى، يبدو أن لا شيء أهم من
نومها.

* **

في مكان آخر في مقهى.
شخص يجلس مشعل لفاقة من التبغ في هدوء ويرتشف
كوب من القهوة.
يدلف إليه شخص ما، يرمقه الشخص الجالس بنظرة
تعني أن يجلس معه:
-تعال اتفضل يا معتز.
يشد كرسيه ويجلس عليه، وينادى على النادل ويصفق
بيده.

يأتي النادل ليأخذ طلبه في عجلة:

-طلبك أي يا فندم؟

- كابتشينو وبسرعة هال أنجز.

النادل:

-أنتَ تأمر يا فندم؟

يسأله الذي يدخن لفافة التبغ في قلق وجدية:

-عملت اللي قالتك عليه؟

-أيوه كله تمام وصلت الظرف يا طارق، زي
ما أتفقنا.

يحادث ذاته في شرّ:

-لما نشوف رد فعلها إيه؟

قد يبدو شريراً، ولكنه شرير عابث، وأفكاره غبية مثله،
تبدو مثل أفكار طفل في الحادية عشر من عمره. ولكني
أكاد أجزم أنّ الطفل يفكر بخطط وطريقة أفضل من
ذلك بكثير، وليس خطة غبية بلهاء لا تجدي ولا تغني
ولا تسمن من جوع.

.. مرت إيامًا كثيرة على ما فعله، وليس هناك جديد أو
تأثير للذي فعله، بصدق من يبالي بخطة عبثية، لا وجود
للمنطق بها.

..يجلس في السرايا الخاصة به، وسينفجر من عدم
مبالاتها. ولكن ماذا تفعل؟ بحق ماذا تفعل؟ شخص
يرمي مظروف أمام منزلها يوجد به كلمة واحدة، هل
تقلب الدنيا لأجل شخص ما يمزح، ربما مزاحًا ثقيلًا؟

يضرب كف بكفٍ بانفعالٍ:

هي أزاي معملتش حاجة لحد دلوقت، ولا إيه ردة فعل
يعني؟ أعمل إيه فيها، إيه دا هي جبلة؟ مبتحسش،
معندهاش دم اعمالها إيه؟ يظهر كدا لازم أوجهها
وأجننها هي خلاص جابت آخرها، بس لحظة أنا ليه
بعمل كدا؟ ليه حابب انتقم منها كدا،؟ ليه كدا وازاي دا
حصل وليه؟ بس هي ضايقتني بعدم مبالاتها، وهنفذ
الباقي مقدرش أزعل حبيبة قلبي سارة دي برضو
هتبقى مراتي وحب حياتي؟

ربما كثيرًا من الأخطاء نفعلها فقط، لأجل من نحب،
دون أن نعي العواقب، أو نتائج أفعالنا، هل هي صائبة
أم لا؟ أسئلة كثيرة في الواقع لم أملك جوابها إلى الآن؟

* **

..في مكان آخر في بيت فخم في مجمع سكني فاخر.
ندى تحاول الاتصال بجنة وإيقاظها، ولكنها نائمة مثل
الجنة. وتحاول مجددًا ولن تستسلم، ولكنها أيضًا لا
تجيب.

.. بعد عشرون مكالمة فائتة. استيقظت، وحالتها
فوضوية وشعرها غير مرتب لتبحث عن الهاتف

ندى محذرة:

-طيب أنا هفقل دلوقت وابقى تعالي في معاد الكورس
متتميش ها.

- حاضر مسافة السكة.

.....تغلق ندى المكالمة معها وتأخذ أغراضها وتدلف
خارج المنزل الذي يبدو فخماً عندما تراه، وهي مستعدة
كلياً للذهاب إلى الدورة التدريبية "كورس". وبالمصادفة
وبينما تمشي، تقابل نادر وهو يمشي في الاتجاه
المعاكس. يستوقفها للحظة ويحاول أن يتحدث معها،
وفي محاولة بائسة منه يطرح سؤالاً غيبياً:

-ندى صح؟

تجيب في شدةٍ وانفعال:

-أيوه صح وعاوز إيه؟ بعدين بقا أنت بتتكلم مطلعتش
أخرس يعني؟

بخوف مصطنع:

-لا مش عاوز حاجة يا كوتش، أيوه بتكلم عادي.

بالطبع خائف فهو يزعج فتاة يمكن أن يضرب في أي
وقت. ابتسمت ولكن أخفت ابتسامتها وأكملت طريقها،
دون أن تهتم لأمره.

طرح سؤالاً عليها وهتف بصوت عالٍ:

-مش هشوفك تاني يا كوتش ولا إيه؟

رمقته بنظرة محذرة وأخفت ابتسامتها:

-لا مش هتشوفني تاني أنت فاهم؟

نادر وبصوت مملوء بالعناد:

-لا هشوفك تاني.

أكملت مسيرها، حتى أنها لم تعلق على حديثه، بينما هو ظلّ واقفاً مكانه محادثاً ذاته:

-لو بصت ورائها يبقي هشوفها تاني.

وللأسف ظلّ منتظراً ولكنها لم تنظر أو حتى تلتفت و لو بالخطأ، بل تابعت طريقها وحسب.

ثم يردف متحدثاً:

-هشوفها تاني ولا مش هشوفها؟ هشوفها أكيد هشوفها.

لقد تعلق بنظرتها وعيونها البنية، يبدو أن أحدهم خطف ومن أول نظرة.

الفصل العاشر (مواجهة)

في الثانية بعد منتصف الليل.

شخصان يتحدثان مع بعضهما، يبدو أن الأمر مهمًا.
ويبدو أيضًا أنه بشأن تلك الخطة البائسة والمملة.

تجيب الفتاة في ملل:

-أنا زهقت يا طارق الموضوع دا طول قوي.

يخبرها في هدوء:

-كل حاجة هتخلص بس محتاجة صبر.

تسأل في عجل:

-وأنا مش هقدر اصبر أكثر من كدا، أحنا قربنا نتخرج
يا طارق وأنت لسه معملتش حاجة؟

يزفر في غضب:

- ياووه بقا إيه أنت مش بتبطلني زن أبدًا، إيه النكد دا
في دمك، أبو شكلك على المساء دلوقت.

تتجمع الدموع في عينيها وسوف تنساب حبات اللؤلؤ
من عينيها البندقيتين، ولكنه لاحظ ذلك سريعًا، وجذبها

إلى يسار قلبه وأحتضنها في محاولة لتهدئة روعها.
يجفف دموعها بيده ويمسك وجهها في حنو، ويرفع
وجهها ليقابل عينيه:

-برضو القمر دا يعيط، طيب ينفع كدا؟

بصوتٍ ممزوجٍ بالبكاء:

-ما هو أنت متزعزعليش كدا، أنت عارف مبحش
عصبيتك وبخاف.

يجيب بحنو:

-وتخافي من حبيب قلبك برضو. حبيبي أنا أزعل الدنيا
كلها ولا ازعلكيش أنت، بس برضو ميمنعش أنك
ساعات مستفزة وأنا يا حبيبي مبحش كدا.

ما زالت تبكي، وهي تعلم جيداً أن بكائها يتلف أعصابه،
ويجعله يجن، وفي الواقع هذا ما تفضله أن تجعله
يعاني:

-ماشي يا طارق.

متحدثاً مع ذاته:

- أنا اللي جابته لنفسه إيه النكد دا، دي ما بتصدق
اتعصب تروح تعيط، مجبتش هدية تعيط، أنا مبدري
قبل ما اكلمها تعيط، لا مستحيل لا، وطلبات طلبات

وبنفذ وبرضو لسه نكد و مكرهاني عيشتي. وكمان جنة
دي ولا حلزونة، الحكاية اللي شكلي مش هخلص منها
أبدأ.

* * *

فتاتان تجلسان في كافتيريا الكلية ويثرثرن مع بعضهن.
تتحدث إحدهن في فرحة غامرة:

-أنا مش مصدقة أخيراً هنتخرج يا نودي ياااه دي
أحلام بقا ولا إيه؟

ندی أنتباهها مشتت تنظر بهدوءٍ حولها، تبدو كما لو
كانت تريد أن ترى أحد ما، أو تراقبه ربما، تجيب بعدم
مبالاة:

-أيوه هيبقي يوم عيد بقا وكدا.

ترمقها صديقتها بنظرة شك:

-مالك يا نودي سرحانة في إيه؟

تخبرها في عجل وتحاول تشتيت انتباهها:

-مفيش يا حب هروح أجيب قهوة واجيلك تاني حاسة
نفسى مش مركزة بس.

- روعي، هستناكي بقا.

تذهب ندى ناحية زاوية القهوة التي في الكافتيريا،
وتطلب كوبي قهوة سادة، وتنتظر حُلماً ينتهي من
أعدادها، بضع ثوان تمر مروراً ثقيلاً، فالانتظار مرّ
مثل حبات القهوة قبل تحميصها.

..وبينما صديقتها تنتظرها وتلعب بهاتفها النقال تلك
الألعاب السخيفة. بطريقة مبالغتها يهمس شخص قريباً
من أذنها:

-أنتِ مراتي.

حاولت أن تنتظر لتعرف من هذا أو من صاحب مصدر
الصوت، ولكنه أخفى بسرعة خاطفة، لم تتمكن حتى
من التركيز، لقد كانت مشوشة كلياً.

تحادث ذاتها، وتحاول أن تسترجع جميع الأحداث
السابقة، لقد تسلل الخوف في أعماقها:

-مش غريبة دي، الرسالة في الأول والصوت دلوقت
أنا مش فاهمة بجد أزاى وليه ومين دا؟

..وبينما هي في خضم أفكارها وتحاول إن تستجمع
شئنا عقلها، تعود صديقتها وتحاول أن تتحدث معها
ولكنها لا تستجيب بالمرّة. تلكزها صديقتها في محاولة
لجعلها تعود للواقع:

مالك يا بنتي في إيه؟

بالرغم من محاولاتها إلا أنها لا تستجيب، لقد دلفت إلى دوامة أفكارها، وغرقت فيها بشدة، فالذي يحدث لها يبدو غريبًا وعبثيًا نوعًا ما. الحياة عبثية أيضًا لا تعطينا ما نريد، بل تفرض علينا ما لا نريد وتقنعنا به سواء إن كنا مجبورين أم راضيين بصدر رحب، لا يهمها المهم أن نرضخ لها ولعبثها.

-ردي عليا مالك، طيب مفيش حل تاني هرش عليكِ
ميه.

..لم تجد صديقتها حلًا سوى أن ترش عليها بضع قطرات من المياه لعلها تعود إلى الأرض الواقعية، وهذا ينم على غباء صديقتها، كان يمكن أن تلمها على وجهها وكانت ستستفيق، ربما حلولي أكثر سوءًا، ولكنها كانت شبه غائبة عن الوعي، فهي من تلك الفتيات الحساسات اللاتي يضحمن الأمور ويجعلن من الحبة قبة. ها هي قد أفاقت من شرودها وتحاول أن تتمم بكلمات غير مفهومة، وهي في حالة صدمة:

-في إيه يا ندى أنا مش فاهمة بجد؟

ندى وكاد قلبها أن يتوقف:

-في إيه وقعتي قلبي وخضتيني عليكِ، في إيه بقا؟

تجيبها وعلامات القلق والشرود جليّة على وجهها:

-من أسبوع كدا جاتلي رسالة مكتوب فيها أنتِ مراتي
دا عادي جدًا يمكن واحد بيهزر، بس النهارده صوت
يهملي بنفس الكلمة، لا دا اكيد وهم وأنا بتخيل ولا بجد
قوليلي يا ندى إيه دا؟

ندى في محاولة لتطمئن:

-أيوه دا وهم واكيد مش حقيقة ودا تخيل وتخاريف من
السهر.

- أيوه معاكِ حق، أنا بيتهالي.

هي لا تصدق أنها تتخيل أو تهلوس، تشعر أن ما يحدث
حقيقة، ولكن كيف يكون حقيقة؟ ولم يسمع هذا الصوت
أحدًا غيرها، وندى لم تكن بجانبها، ليتها كانت بجانبها،
على الأقل لن تجن بمفردها، ولن يأكل القلق قلبها.

ترد ندى في عجل:

-يلا بينا هنتاخر على المحاضرة بقا.

تضع هاتفها وأغراضها المتناثرة على الطاولة في
حقيبتها، وتسير معها في ضجرٍ، إلى المدرج الذي
يفترضه أنه مكان المحاضرة. وبعد أن وصلت وجلسنا
في مقعدهن، تسأل جنة في ضجرٍ:

- إيه الزهق دا، أنا تعبت، الدكتور مش هيجي ولا إيه؟

تجيب صديقتها بهدوء، ويبدو على وجهها الامتعاض:

-أنتِ على طول كدا، دا حتى الصبر خير أستني بقا.

تضع يدها على خدها وتنتظر في ضجرٍ، وبينما هي

مشوشة. شخص ما يرّمي ورقة عليها من الصف

الأخير. تحاول فتحها بلا مبالاة و ترى ما الذي بها

والصدمة بادرة على وجهها تجد ما بالورقة ذات الكلمة

"أنتِ مراتي"، يبدو أنه شخص مختل عقلياً ومجنون

كلياً، تقرأ بعيونها الباقي لأنه كان هناك بقية، ليس كمّا

المرّة السابقة فقط كلمة واحدة، أو كلمتان على وجه

الدقة، تقرأ بذهولٍ وتتسع حدقتا عيناها:

"بصي بقا أنتِ مراتي غصب عنك ولو عاوزة تعرفي

أنا مين تعالي لوحدك دلوقت وأنا هقابلك، متخافيش

الدكتور مش هيجي دلوقت، وبحذرك أنك تقولي حاجة

لصحبتك فاهمة، واعتبري الموضوع تهديد"

الآن هي في وضع لا تحسد عليه ولا تعرف ماذا تفعل؟

هل تقابله؟ وتعرف من هو، أم أن هذا شخص يمزح

ولكن مزحة ثقيلة؟ كانت تظن أنها مزحة ما، ولكن ما

جعلها تتأكد أن هذا حقيقي وليس وساوس في عقلها

وحسب. أنّ شخص ما خرج من المحاضرة الآن

وينتظرها خارجاً. ترتبك ويبدو جلياً على وجهها، فهي لا تستطيع إخفاء ما تشعر به:

-ندى أنا هروح أشرب واجي ماشي.

- هاجي معاكِ اسيبك أزاي أنا دلوقت؟

حاولت أن تواري خوفها:

-لا يا نودي وبعدين أنا مش هروح احارب يعني دا أنا هشرب عادي.

شعرت ندى بغرابة و بشيءٍ غير طبيعي يحدث هنا، فهي ولأول مرة لا تذهب معها، بل هي من تصر على مصاحبتها. كما يقولون أنهم توأم جسدين بروح واحدة، أخذت تفكر في هذا الأمر، وجالت في عقلها أسئلة كثيرة لا حصر لها. غريب جداً توترها، وشحوب وجهها، والأهم من ذلك كله هو هلوستها قبل قليل، فهي غالباً لا تهلوس إلا إذا أنخفض ضغطها.

..تركتها وسارت إلى الكافتيريا، وجلست منتظرة ذلك الغريب المختل. وبينما تطرق أصابعها في توتر، يدلّف إليها شخص ويقتمح جلستها، يسحب كرسيًا، يجلس في مقابلها.

تنظر له في استغراب:

- أنتَ؟

يظهر بمظهر القوي والشرير في أفلام الأبيض والأسود
ولا يتحدث فقط ينظر في حدة .في الواقع لا يبدو شريراً
فهو يبدو كأبله مختل وحسب، عقله يصور له تلك
الرؤية في باطنه. إنما واقعياً يبدو كحمارٍ أبله، وبالطبع
سنعتذر للحمار.

هي بلامبالاة و تشاور له بيدها أن يذهب:

-أمشي دلوقت أنا مستتية حد دلوقت، أي جابك أنتَ
هنا؟

بهدوء واتزان:

-أنتِ مستتية صاحب الرسالة صح؟

ترتعد فرائصها:

قصدك إيه، أنتَ المختل عقلياً؟

بهدوء يستفز من حوله:

-قصدي أنك مراتي وفي عقد بكدا.

تخبره في انفعالٍ ويتخلل وجهها علامات الصدمة:

- أنتَ كداب وأنا هوديك في ستين داهية وهتشوف.

يخرج من جيبه ورقة ويلوح بها في الهواء:

-مش هتقدري تعملي حاجة ودا عقد في رقمك القومي
واسمك وعنوانك واهم من دا كله عليه توقيعك
وبموافقتك.

تنتشل منه هذه الورقة أو العقد السخيف:

- دا عقد زور وباطل وحرام أصلاً وأنا معملتش كدا،
محدث هيصدق أني ممكن أعمل كدا.

بيتسم في سخرية:

-ابقي اثبتي بقا.

يتركها ويمشي وهي لم تحتمل جلست تسبه في غيظ
وانفعال:

-حيوان وحقير ومنحط.

تناولت هذه الورقة وكانت ستمزقها وينتهي الأمر،
ولكنه توقف لبرهة و عاد خطوتين للخلف وأخبرها في
استهزاء:

-متحاوليش تقطعيها دي مش الأصل، دي نسخة بس
ومعايا غيرها كثير، ولو حابة ممكن اوزعها عادي..

تقاطعه في وجل:

- أنت اكيد مش بني آدم، أنا عملتك إيه حرام عليك،
طب ليه أنت متعرفنيش أصلاً؟

يرد ف قائلاً:

-وكم ان ممن أودي العقد دا لبابك، هو صحىح ببقراً
الجر ايد كل يوم واستنى اللى جاي ألى بكثير،
معرفة كىش بس أنت أذيتى حد ىخصنى.

ىتركها فى صدمتها وىغادر فى هدوء، لا تعرف ماذا
تفعل، لا تستطيع البكاء ولا الصراخ، فى لم تفعل ذلك،
ولكنه محق من سىصدق أنها لم تفعل ذلك، خطأ واحد
سيشوه سمعتها للأبد، حتى وإن لم ىكن خطأها.

الحياة تعطىنا الضربات الموجهة بدون أن نفعل شىئاً أو
ىكون خطأنا نحن نعاقب على شىء لم نفعله. عادت إلى
قاعة المحاضرات وهى صامتة فقط، علامات الصدمة
والشحوب تستحوذ على تقسىم وجهها. عندما جلست
بجوار ندى شعرت أنها لىست بخىر، ربما أنخفض
ضغط دمها مجدداً كما ىحدث فى العادة. لاحظت أن
وجهها ىبدو كما لو أن أحدهم صفعها بقوة عدة صفعات
متتالية.

تحاول ندى محادثتها ولكنها لا تجىب، فتقرر أن تأخذها
وتغادر وتترك المحاضرة والىوم كله ىذهب هباءً:

-جنة حبىبى شكلك مش تمام ىلا بىنا أحنا لازم نمشى
دلوقت.

تقوم بالإيماء برأسها بالموافقة، دون أن تتحدث، فهي
تشعر كما لو أنها تتنفس من ثقب إبرة، كما لو أن الدنيا
تضيق بها وتدور بها كما تدور اللعبة في مدينة
الملاهي.

الفصل الحادي عشر (كيف ستتصرف؟)

...تجلس في غرفتها غير مستوعبة ما الذي يحدث؟
بالتأكيد هذه خدعة سخيفة. ولكن كيف تكون خدعة
والورقة معها وتوقعيها عليها؟ ولكن لحظة واحدة، هذا
الخط ليس خطها، ولكن كيف ستثبت هذا؟

ذكرني ذلك بفيلم سمعته منذ مدة إخراج عاطف الطيب
اسمه ملف في الآداب، يحكي عن فتاة تعمل كاتبة في
مكتب ويتم القبض عليها وزملائها في قضية آداب ظلماً
وزوراً، وعندما أعلنوا براءتها وبراءة جميع المتهمين
حاز مشهد مديحة كامل عندما أعلنوا براءتها وهي في
قفص الاتهام أعجابي حقاً و لقد لأمس هذا المشهد قلبي
ويبدو أكثر تعبيرية ها هنا.

- القاضي يعلن حكمه: براءة لكل المتهمين في
قضية الآداب.

= مديحة كامل تجيب منفعة: لا يا سيادة القاضي ..
حكم البراءة خاصتك هذا لا يلزمني، حكم البراءة
خاصتك سيبعد عني سجن الحكومة، لكن لن يبعد عني

السجن الذي في الخارج، سجن الحكومة له أول و له
آخر، لكن سجن الناس لا له أول ولا آخر.

الشارع سيكون سجن، الاتوبيس سيكون سجن، كل
نظرة و كل كلمة ستقال ستكون مثل ضربة الكورباج،
حكم البراءة خاصتك لن يعيدني البنت الشريفة والطاهرة
مجددًا، العاملين في السينما قالوها زمان " شرف البنت
مثل عود الكبريت " أي شيء يفسده ومن أقل شيء.
..يضحك الحضور في قاعة المحكمة .

تردف بذات الانفعال: رأيت يا سيادة القاضي ..
يعتقدون أنني أمزح، أليس الجميع سمع حكم البراءة ؟
أنهم غير مصدقين، أنا شريفة على أوراق رسمية فقط،
لكن أمام الناس سأظلّ البنت التي لديها ملف في
الآداب.

هذا المشهد مؤلم ولكنه يجسد واقعنا الذي نعيشه، سواء
كنا في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

... تزفر وهي تتذكر ما حدث، هي فقط خائفة،
فرائصها ترتعد. إن قام بفعلته كيف ستواجه المجتمع
والناس، لن يصدقها أحد، بل ستنتشوه سمعتها، وماذا لو
علم أبيها، ماذا سيفعل؟

الأمر خطير بالرغم من عبثه، لأننا في مجتمع يدين أي أحد لمجرد أي شيء حتى وإن كان كذبًا، لا يهتم كذب أم صدق، المهم أن هناك كبش الفداء. والتسوية القادمة.

الوليمة التي تطبخ على نار هادئة، ويضاف إليها القليل من البهارات، بل الكثير ربما.

الكثير من القيل والقال، الكثير من الشهود العيان. والكثير من لقد رأيتها معه في وضع مشين، لقد رأيتها توقع بأم عينيها التي سيأكلها الدود، والكثير الذي سيقال. والثرثرة لن تنتهي.

... بعد عدة أيام مضت غريبة وثقيلة للغاية.

وخصوصًا على قلب صديقتها ندى التي تحاول أن تتواصل و تتصل بها ولكنها لا ترد. تتصل بها منذ اللحظة التي قامت بإيصالها للمنزل وتركها وذهبت. ترمي صديقتها الهاتف على سريرها وتضع يدها على رأسها ويجول في عقلها الكثير... والكثير من الأسئلة التي لا حصر لها. تتحدث مع ذاتها في غرابة واستعجاب:

-أزاي دا، لا بجد في حاجة مش مفهومة ولازم أعرفها؟
يقطع شتات أفكارها والدتها التي تطرق طرقات خفيفة على باب غرفتها.

تجيب بصوت مسموع وعال:

-أيوه يا ماما أتفضلي.

تجيب الأم في وجل:

-ندی كنت عاوزاك تشوفي والدك دا مكلمنيش من

امبارح وأنا خايفة عليه جدًا!

ندی بلامبالاة:

-طبعًا اتخنقتوا زي كل مرة، أنتوا مبتتعبوش أبدًا.

تردف والدتها بهدوءٍ واستعطافٍ:

-ندی حبيبتني دي مش غلطتي أنا، وأنتِ عارفة كويسة

أنا كنا بنحب بعض، وكل اللي بيحصل دا جزء من

المحبة.

تنفعل على والدتها وتجيب في حنقٍ:

-محبة إيه بس يا ماما أنتِ بتكدي علي نفسك ولا عليا؟

أنتِ عارفة كويس جدًا إنه بيخونك ومش بيحبك، وبيندم

أنه أتجوزك واللي بينكم مكنش حب وأنتِ عارفة كدا

كويس.

تلطمها والدتها على وجهها في انفعالٍ:

-أيوه عارفة أنه محبنيش وكان بيحب واحدة تانية وأهله
أجبروه يتجوزني أنا، وأنا كنت مجرد صفقة من
صفقاتهم.

وهنا تترقرق الدموع في عيونها معلنة فيضان من الدمع
وتردف:

-مش هو اللي اتظلم لوحده، أنا كمان أتظلمت، ولأن
الست دايمًا على غلط لازم تستحمل جوزها في أي
ظرف من الظروف.

تعانق والدتها وتبكي هي أيضًا:

-يا ماما صدقيني أنا مكنتش اقصد، سامحيني، أنا
مقدرش اشوف دموعك دي والله.

تتناول يدين والدتها في محاولة للطم ذاتها وتحاول أن
تجعلها تضحك بالرغم من بكائها:

-يا ماما خلاص بقا إيه دا؟ شوفتي بقا اديكِ ضربتني
خلاص بقا، وبعدين أنتِ متخانقة معاه هو، وطبعًا مش
لاقيه غيري عشان تتطلعي فيه همك ولا إيه؟

تقبل يدين والدتها وتأخذها لتغسل وجهها في حنو:

-يلا بينا بقا ياتي كميطة نمسح الدموع الوحشة دي. أنا
عارفة أي هيضحكك، هتصل عليه ويصالحك يا بطة،
يا قلبي أنتِ.

تمسح والدتها دموعها وتردف بفرح:

-إيه دا بجد؟

تنفرج من ثغرها ابتسامة وتجيب مشاكسة:

إيه الحب دا كله، والمشاعر دي كلها، كله دا عشانه
هو، من حقكم، من حقكم بتستغلوا غيابي.

تجيب والدتها ضاحكة:

-بنت أنتِ عيب واسكتي خالص يا مقصوفة الرقبة.

تتناول هاتفها و تتصل على والدها وتشير إلى والدتها
بالصمت قليلاً لترى ردة فعله:

- أيوه يا بابا أنتِ فين دلوقت؟

يجيب والدها مازحًا:

-هكون فين في الشغل يا حبيبتي، هربان من نكد أمك
وقرفها.

تقوم بتهديده في مناغشة:

-هي جانبي وهقولها على فكرة.

يردف مازحًا:

-أنتَ شكك عاوزاها تقتلني، لا متقوليش أنا بابا حبيبك،
يا فتنة.

والدتها متعجبة:

-إيه تقولي إيها؟

تجيبها مشاكسةً:

-لا مفيش بيقولك أنك واحشتيه بس، واخذ بالك أنتَ يا
بابا.

يجيب الأب ضاحكًا:

-أيوه واخذ بالي، اديهالي بقا هصالحها.

تعطي الهاتف لوالدتها مرادفة في عجب ومزاح:

-عصافير حب يا ناس، وأول ما يتخانقوا أنا اللي بروح
في الرجلين.

* **

...في منزل جنة في هذا التوقيت.

نائمة على سريرها، فقدت شهيتها تبتلع ما يبقيها على
قيد الحياة. خائفة، تفكر فيما سيحدث.

تحاول والدتها أن تجعلها تأكل، ولكنها منذ أن عادت صباح ذلك اليوم وهي لا تستجيب أو حتى تشاغب مثلما تفعل دائماً، إنما نائمة وحسب. تصحو لتبكي وتعود لتنام من جديد. بعد عدة ساعات هينة استيقظت وتحدثت مع ذاتها:

-أنا حاسة أن كل دا كابوس مستحيل يكون حقيقة، لا دا كذب أكيد.

تحضر دفتر مذكراتها وتفتح إحدى صفحاته وتكتب في وهن.

"وهل يكون الكابوس بمثل هذا السوء؟ لا أدري حقاً؟ ربما أحلم وسأفيق منه بعد لحظات ولعدة ثواني، ولكني لم أعد أحتمل، هذا الكابوس المزعج أكثر من ذلك؟ يكاد قلبي يتمزق من الألم وعيوني أرهقها البكاء، وأصبحت أشعر بالاختناق وأني أتنفس من ثقب إبرة " بعد أن انتهت من الكتابة تساقطت دموعها على هذه الكلمات وغفت دون أن تدري. فهي في النهاية تهتم لسمعتها، وأيضاً هي فتاة هشة وضعيفة. ليس لأنها تخاف من التهديد، ولكنها تخاف من المجتمع.

* **

ندى قررت أن تغادر بهدوء مثل اللصوص وتتسحب من جوار عصافير الكناري، حب زمان. ليس حباً ولكنه أقصى ما يكون مودة ورحمة وسنوات كانت بينهم لن تتفتت بسهولة. تأخذ حقيبتها ومفتاح الشقة وتذهب مسرعةً وتغلق ورائها الباب بهدوء.

تحدث ذاتها وهي تسير في حيرة:

-دلوقت بقا أكلم أم جنة اكيد هترد، بما أن الست هانم مش راضية ترد.

وبينما هي تتابع طريقها يصطدم بها شخص ما، ولكن هذه المرة كان متقصداً، ومن قوة الاصطدام يقع هاتفها على الأرض.

تتفعل في غضب دون أن تنتظر لتعرف ماهية هذا الشخص:

-أنت أعمى مبتشوفش لازم تلبس نظارة إيه الغباء دا؟

تلتقط الهاتف من الأرض وتحدث بكلام غير مفهوم:

-عارف لو الفون باظ هعمل فيك إيه إنسان متخلف؟

وعندما دقت النظر إليه وجدته نادر، ومع ذلك لم تهتم له. فقط كانت تتفحص الهاتف وترى إن أتلف ومن ثم نظرت إليه بحدة:

- أيوه يعني وبعدين عجبك لو أن الفون باظ مش
تحاسب إيه التخلف دا؟

تنفرج من ثغره ابتسامه عريضة بلهائه ويضع يده على
شعره:

-أنا آسف جدًا.

تجيب بانفعال وتلّوح بيدها يمينًا و يسارًا:

-أصرفها فين إسف دي هتصالح الفون مثلا ها رد عليا؟
يجيب مازحًا:

-كنت عاوز أشوفك وأكلمك حتى لو هتهزقيني.

تردف بانفعال:

-أبعد عن وشي دلوقت أحسنالك فاهم ولا مش فاهم؟

لا يهتم لما تقول ويطرح سؤالًا غيبًا:

-مش هبعد هتعلمي إيه يعني؟

تقترب منه منفعة وتلكمه في بطنه لكمة قوية:

- دلوقت عرفت أنا ممكن أعمل إيه؟ ولو مبعدهتش

دلوقت هتصرف تصرف تاني؟

يبتعد بضع خطوات، ممسكًا بطنه في ألم:

-يا بنت المجنونة، استني طيب هفهمك، وربنا أنتِ
فاهمة غلط!

تتركه في عجل وتلتفت خلفها لترى إن كان قد ذهب أم
لا؟

مسكين نادر لقد وقع في يداي من لا ترحم. أنها
مصارعة يا رجل ماذا ستفعل؟ أنها تأخذ دورات تدريبية
في الدفاع عن النفس والجودو والكاراتيه، مثل السيد
زكي شان ولكن نسخة نسائية، يبدو أنك ستموت على
يدها. أمزح أنها فتاة جميلة وجذابة، من يراها سيغرق
في حبها على الفور. ولكنها فتاة قوية أيضاً، ولا يستهان
بها.

* **

تصل ندى إلى وجهتها وهو منزل صديقتها العزيزة.
أمام الشقة وها هي تطرق على الباب بشدة، كما لو
كانت مخبراً من مخبري الحكومة.
والدة صديقتها من الداخل بصوتٍ منفعلي:
مين؟

- أنا.

وعندما أخبرتها أنها " أنا " تلك الكلمة السحرية والعبثية
بذات الوقت، فتحت الباب فوراً. كيف نحن هكذا أي
شخص يخبرنا أنه أنا؟ نذهب ونفتح الباب له!
أعتقد لو أنّ لصاً أو قاتلاً متسلسلاً أخبرنا أنه " أنا "
لفتحنا له الباب، وقام بقتلنا وتخليص الناس من غبائنا.
بداخل عقولنا عتّه ربما مترسبة في أعماق أعماقنا
ترسباً يستحيل أن يزال. وهذه عادة غريبة عبثية من
العادات الموجودة حولنا، حدثتكم من قبل عن تقليد جزر
سليمان . سأحدثكم عن عادة يتابعها سكان جزر
البهاماس وهي بالمناسبة مجموعة جزر من جزر البحر
الكاريببي. بالطبع تعتقدون أنها عادة بوهيمية لا مثيل
لها. سأحطم أحلامكم، فهي عادة بسيطة " صيد الأسماك
بالرمح " كما كان يفعل إنسان الكهوف والغاب قبل
ملايين السنين، مهما تقدم بهم الزمن أو التطور، لم
ينسوا عاداتهم وتقاليدهم.

ما زالوا محافظين على التراث والعرق مثلما نفعل نحن
ها هنا الآن. التقاليد تعني نحن، ونحن تعني العادات.
مزيج غريب ولكنه يعني لا تحاول الهرب، نحن نحيط
بك من كل صوب. من نحن؟ نحن الجمع الغفير.

تفتح والدة صديقتها وعلى وجهها البشوش ابتسامة
هادئة:

-اتفضلي يا بنتي تعالي جنة في أوضتها.

تجيب بثبات:

-طيب أنا هروحها واشوفها.

تهرول مسرعةً على غرفة صديقتها وتطرق باب
غرفتها، ولكن لا تفتح لها أو حتى يصدر أي صوت يدل
أن هناك شخص موجود. دزبداخل الغرفة. تدفع الباب
دفعة بسيطة، وتذهب بجوارها وتحاول إيقاظها:

-جنة يا قلبي قومي بقا.

تستيقظ ببطءٍ شديد مرهقة الجفون، ترتمي في أحضانها
وتبكي كأنها أول مرة تبكي في حياتها كلها، كأنما
الدموع خلقت الآن ولم تخلق قبل ذلك.

وسط بكائها ونحيبها المتواصل:

- ندى متسبنيش، أنا خايفة.

تحاول أن تجعلها تهدأ وتضمها إليها كما تضم الأم
صغيرها:

-مالك قولي في إيه؟

تجيب في بكاء وتعلثم:

-مش ش، ش ه هقدر.

ندى وتحاول أن تتماسك، بالرغم من تجمع الدمع في عيونها، إلا أنها تستعيد رباطة جأشها وتستجمع قوتها:

-متخافيش محدش هيقدر ياذيك طول ما أنا جانبك،
وبعدين مهما كانت الحاجة اللي معاك أو أي حاجة في
الدنيا دي، أنت عارفة إن ربنا موجود يا حبيبتى، يلا بقا
أنا هجيب أكل ولازم تأكلي معايا عيب بقا أكل لوحدي.

- مش عاوزة أكل مليش نفس.

ندى ولم تعد تحتل بكائها، لقد أصبح قلبها يؤلمها الآن:
-حبيبتى أنت مروحتيش الكلية من ساعة ما كنت تعبانة
ووشك مخطوف، والأيام دي مهمة وفي ميد تيرم مهم
ولازم تحضره ومش باقي وقت كثير على الفاينال،
قوليلي في إيه وأنا هتصرف متخافيش بقا؟

تجيب في بكاء وخوف:

- الشخص دا قالي متقوليش لصاحبتك وإلا هعرف
باباك كل حاجة وهيفضحني في الكلية.

ندى وتحاول أن تمسك أعصابها وتجيب في حكمة:

-متخافيش بقا وقوليلي ومحدث هيعرف حاجة زي كدا،
بس أنت لازم تأكلي وتذاكري ولو كنت خايفة هقعد
معاك شهر الفاينال.

تمد يدها لتحضر حقيبتها الملقاة بجانبها في فوضى،
وتقوم بفتحها وتخرج منها الورقة التي أعطاه لها هذا
الشخص:

-أهو يا ندى أنا مش عارفة اتصرف إزاي؟

تتصفح ندى هذه الورقة الباليه وتحاول أن تطمن
صديقتها. وبالرغم من ذلك فهي تعرف من هو طارق
وما الذي يمكن أن يفعله؟ ذلك الشاب المدلل والغبي.
بهدوء يتخلله الخوف:

-متخافيش أحنا هناكل دلوقت ونذاكر وهتروحي معايا
الكلية وكل حاجة وهنمتحن اوك، وسيبك من الموضوع
دا ولا كأنه موجود انسي اللي قاله، وكفاية تفكير
خلاص.

تجفف دموعها وتردف:

-مش صحبتي اللي تعيط ولا يكسر لها حد، أنت قوية
متقلقيش.

جئة بعد أن أطمأنت:

-عارفة أنتِ، أنتِ اللي لما بكون مضايقة بتطميني
ولما بكون في مشكلة بتواسيني، ولما بكون ضعيفة
بتقويني، أقولك على حاجة أحلى أنتِ أحسن صحبة
وأحسن حد أعرفه في حياتي، بحسك زي ماما والله
بجد.

ندى بهدوء، بالرغم من قلقها المختبئ:

-قومي بقا أغسلي وشك وروحي كلي وأنا هحصلك
ماشى.

تستمع إلى كلامها وتذهب لتغسل وجهها ولتأكل أيضاً،
لقد رمت الحمل على شخص آخر ليفكر عنها أو ينقذها.
بعد أن ذهبت، تجلس مفكرةً محادثةً ذاتها:

-أنا مش عارفة أعمل أي بس يا رب أنا طمنتها وأنا
مش قادرة أطمّن نفسي، يارب ساعدني.

تتناول الورقة من جديد وتركز هذه المرة، وقد بدت
الصدمة على وجهها عندما علمت من هم الشهود على
هذه المهزلة العبيثية. لقد وجدت أنهم نادر وحازم، لم
تكن تتوقعها من حازم فهو صديقهم ويعامل جنة مثل
أخته الصغرى.

نادر لا تعلم عنه شيئاً، ولكنه يبدو محترماً، وتكاد تخشي
أن يفعل ذلك. ولكن النقود ستجعلك تفعل أي شيء، هذا
ما تعتقده هي في عقلها.

تحدث ذاتها في انفعال:

- نادر وعلمي فيها محترم، ولا الزفت الثاني حازم،
طيب.

* **

.. شخصان يتحدثان في سيارة وتبدو أمارات الرضا
على وجهيهما.

يتحدث أحدهما في انتصار:

أي بقا أهو عملت اللي اتفقنا عليه ومجتش من اسبوعين
ومش هتيجي تاني وهفضل حابسة نفسها كدا وهتضيع
عليها السنة وبكدا تبقي خدتي اللي أنتِ عاوزة.

تستند على كتفه في رقة ودلال:

- لا لسه يا قلبي.

يعقد حاجبيه مستغرباً:

في إيه تاني بقا؟

- نتجوز يا حبيبي.

يطلق ضحكة مستفزة، يريد أن يشعرها بالغيرة:

-أتجوزك أزاي وأنا متجوز؟

تضربه في انفعال:

-أنتَ ما صدقت ولا إيه يا طارق وعاوز تخلع؟

يردف مستفزاً إياها:

- أعوذ بالله من لسانك، هو أنا مش متجوز دلوقت

ولأزم أطلق عشان أتجوزك أنت!

تجيب وستنفجر من الغيظ:

-نزلني يا طارق هنا. دلوقت.

يجيب بنبرة يعترئها العناد:

- لا مش هتنزلي، هرجعك البيت.

تجيب في غضب:

-هفتح الباب يا طارق وانزل وأنتَ وسابق.

يحاول أن يهدئ روعها:

- يا بنت بهزر معاك، أنتَ حياتي في حد يستغني عن

حياته يعني، وبعدين شوفي الكنبه اللي وراء كدا.

تلتف وتنظر إلى المقعد الخلفي وترى باقة من الزهور

وعلبة هدايا.

تفرج أساريها ويرفرف قلبها بكثير من الفراشات.
تعانقه وهو سائق من الفرحة بالطبع. يخبرها في خوف
وقد تذكر ذكرى بشعة من الماضي:

-يا مجنونة هنعمل حادثة.

تخبره في حبّ مصطنع، فهي تتمني موته بكل حال من
الأحوال:

-بحبك ومستعدة أموت معاك.

..خطة متقنة لقتل أحدهم. أملئه بالحب، ثم غادر. لن
تحتاج لمسدسات أو خناجر و دون أن تلوث الأرض
بقطرة دم واحدة. هكذا ستقتل روحه، وبدون روحه أين
عساه أن يبقي؟

* **

ندى وما زالت تفكر، والتفكير يأكل عقلها أكلاً.
تتناول هاتفها و تتصفح في توتر وانفعال قائمة
أرقامها، وكانت تطلب رقم أحدهم. تفكر في حل لهذه
الكارثة التي حلت على رأسها.

الفصل الثاني عشر (شاب مدلل)

الرقم الذي كانت تطلبه رقم حازم وبالرغم أنها غاضبة ومنفعلة إلا أنها تحاول أن تتمالك أعصابها.

فهي تريد قتله، وربما رجّمه في ميدان عام، أو تنتزع قلبه وتأكله نيئاً. كما تفعل بعض القبائل الإفريقية، حيث يقطعون لحوم الحيوانات أو البشر ربما من يعلم؟ ويأكلون لحومهم دون طهي. بل يتلذذون وهي بهذا الشكل. ذلك الخنزير كان يقول أنها مثل أخته الصغرى، ماذا الآن هل تبرئ منها؟

يجيب وكأنه غير مصدق أنها تهاتفه:

- أخبرك يا ندى، عاملة إيه؟ ليك وحشة والله.

تخبره في جدية وحزم:

-لو سمحت أنا بكلمك عشان اطلب منك طلب وبس.

شعر بحزن وشعر أنها تعامله بقرف، فهي لم تعامله هكذا من قبل، دائماً ما تمزح معه والآن هذه الطريقة جديدة وغريبة:

في إيه يا ندى، أنتِ بتكلميني كدا ليه، وإيه الطريقة دي؟

- لو سمحت أنا محتاجك في خدمة وأرجو أنك

تتفذيها؟ ثانيًا أحفظ أدبك وأوعي تفكر ولو

مجرد تفكير أني ممكن أعاملك كويس تاني.

شعر أنه ثقيل على قلبها، هذه ليست ندى، ما الذي فعله

لتعامله بهذا الشكل:

-اتفضلي يا فندم، اطلبي اللي أنتِ عاوزاه؟

- تقابلني في كافيتريا الكلية وبعدين هتعرف أنا

عاوزاك في إيه؟

يزفر في ضيق:

-أي خدمة تتطلبها مني تاني يا فندم؟

- ياريت بس تجيب معاك نادر صاحبك ولا

معرفش اسمه إيه وبعدين هنتفاهم.

حازم:

-تحت امرك يا فندم.

- شكرًا لحضرتك.

تغلق المكالمة معه وها هي جالسة تفكر مع ذاتها، لتري

كيف ستجد حلًا لهذا العبث:

-طيب أنا مش عاوزة شوشرة ولا فضايح، عاوزة الاقي
حل ضروري، واكيد حازم ونادر يعرفوا حاجة عن
الموضوع دا، و أنا لازم استغل دا، وأكسبهم في صفي
أو على الأقل أعرف هل عملوا كدا فعلاً ولا؟ يا ويلك
وسواد ليالك يا حازم، لو كان دا صحيح، أنا هخرب
بيتك، أنت وبوز الأخص الثاني.

وهي في خضم أفكارها تدلف إليها صديقتها وتقطع حبل
أفكارها وتوارد حصيلة دماغها، التي بالتأكيد لن تفقهه
به شيئاً:

-ايه بقا بتفكري في إيه؟ و ليه مجتيش عشان تأكلي
معايا مش قولتيلي انك جعانة ولا إيه و ليه مجتيش
ورايا؟

تبتسم وتجيب في مراحة:

-إيه دا كله مش من شوية كنت عايشة مأساة ومش
بتأكلي وعايشلي دور الحزن.

تجيب صديقتها بحبور:

-ما خلاص بقا أنت هنا، وهزن ليه ما خلاص، ما هو
أنت طمنتيني؟

- روعي ذاكري بقا دا أحنا بكرة هنتنفخ يا معلم.

تجيب وترتعد فرائصها:

-لا مش هروح.

تردف في ثقة:

- أنا قولت إيه، مش أنا معاكِ يبقي خلاص مفيش خوف
ولا أي حاجة، وروحي ذاكري دلوقت وأنا هتصرف.

تعانقها في سعادة:

-عارفة ياريت كل الناس زيك كدا، أنتِ حاجة زي ما
بتكون كدا مش من هنا.

ندی محاولة أن تتذكر ما الذي جاءت من أجله:

-نسيت اقولك في ميد تيرم بكرة.

بدت علامات الصدمة على وجهها:

-يلهههههوي ميد تيرم إيه ومادة إيه؟

- محاسبة وضرائب

تبحث جنة عن الكتاب والمحاضرات وهي لا تعلم ماذا
تفعل؟

تسير ناحية الطاولة لتستذكر ما الذي كانت تتحدث عنه
هذه المادة الحقيرة:

-إيه المادة دي؟

تهمّ ندى بالمغادرة:

-أسيبك تذاكري بقا وأمشي أنا عشان ...

تقاطعها جنة وتتنظر لها في استعطاف:

-هتسبيني؟

صكتها برفق على وجهها:

-ودي عشان مش بتخليني أكمل كلامي، أنا كنت
هقولك اروح اجيب شنطتي وابات عندك مش همشي
يعني.

تجيب مراحةً وقد تورد وجهها:

-لا يا ستي امشي ومتجيش تاني، تباتي فين دا أنا ماما
نفسها عاوزة تطردني من البيت.

ندى تعقد حاجبيها في عجب:

-جزمة من يومك وفين المشاعر والحنية اللي كانت من
شوية؟

- ما خلاص بقا خلصت، وسبيني أذاكر بقا.

تخبرها قبل أن تذهب بود:

-طيب ذاكري كويس وهعدي عليكِ بكرا اوك.

تتركها وهي مندمجة مع كتاب المادة وتقلبه بذات اليمين وذات الشمال في بلاهة ويبدو أنها لا تفهم أي شيء بها، أو أنها تفاجأت فلم تضع في حسابها أنّ أستاذ المادة الجامعي سيمتحنهم، لقد ظنت أنه نسي الأمر. ولكن هذا لم يحدث، فهو يتفنن في تعذيبهم. أكاد أجزم أننا جميعاً في حاجة لصديق مثل ندى. ومن كل قلبي وأعماقه أقول يا له من سعيد حظ بالفعل من كان يمتلك صديقاً مثلها.

* **

تعود ندى إلى منزلها وتدلف إلى المنزل بهدوء تام، وتفتح غرفتها بذات الهدوء وتجد أنّ الضوء منطفئ وعندما خطت أول خطواتها، سمعت صوت من الداخل: -ما لسه بدري يا هانم كنتِ فين لحد دلوقت؟ بدأت عليها الصدمة و باتت أرجلها تصتك ببعضهما في خوف، حاولت أن تنير المصابيح بصوت مرتجف: -أنت مين؟

تلتفت ناحية الصوت واطعة يدها على قلبها: أي يا ماما؟ خضتيني حرام عليكِ، قطعت الخلف. تردف والدتها ضاحكة:

- أنتِ هربتِ من جانبي وأنا قولت أخضك!
بالرغم من متاعبها إلا أنها ابتسمت دون أرادة منها:
- أنتِ يا ماما عليكِ حاجات، ممكن تسبيني لوحدي
شوية؟

توماً والدتها بالموافقة وتتركها بمفردها، تفكر ويكاد
رأسها أن ينفجر، تريد إنقاذ صديقتها مهما كلف الثمن.
ولكن أكثر ما يؤرقها، كيف يفعل حازم هذا؟ كيف يصل
به الأمر لهذا الشيء؟ لم تتوقع هذا الشيء منه مطلقاً.

* **

في الجانب الآخر.

حازم مستغرب من طريقة تعامل ندى معه، فهي مهما
حدث أو مهما يحدث لم تكن لتتحدث معه بهذه الطريقة
المقرفة، ما الجرم الذي فعله لتتبدل معه بهذه السرعة؟
على حد علمه لم يفعل شيء مطلقاً، الرحلة ألغيت بأمر
من الجامعة، ليس له شأن بهذا. يكاد من فرط التفكير
يجن. يتناول هاتفه، يطلب رقم نادر، ولكن نادر يتجاهل
اتصالاته. يلعن نادر بصوت عالٍ لأنه لا يجيب، يحاول
مجدداً لا يعرف لليأس طريقاً. وأخيراً يحادثه بعد
محاولات مستميتة وصراع من أجل أن يجيب، أعتقد لو

كان دب الكسلان لأجاب مسرعًا، لا يهم لا أحد يعرف
ظروف أحد.

حازم في انفعال واضح:

-إيه كل دا ومتردش؟

نادر يجيب في وهن وصوت لا يبشر بخير:

-معلش تعبان شوية.

يختفي انفعاله ويحزن لحال صديقه، يبدو أنه مريض
جدًا:

-سلامتك، المهم لازم تيجي بكرة ضروري.

- ليه يعني؟ لا، افكرت الامتحان معلش نسيت،

شكرًا لأنك فكرتني يا حازم.

- لا حاجة تانية هتعرفها بعدين المهم تيجي

اوعي تنسى؟

- حاضر أنا هقفل السكة دلوقت هاخذ دوا وأنام،

وإن شاء الله خير.

* **

في سرايا فاخرة.

شخص عجوز متعب ومريض، يصرخ في وجه
أحدهم. لقد أنهكت أحباله الصوتية، كما يقولون " ينفخ
في قربة مثقوبة "

-أنا عينتك في الشركة دي بمنصب عمرك ما
كنت تحلم بيه ولا أي حد يحلم كدا، أنت كل
همك المسخرة وقلّة الادب والشرب والسهر
وبس، أمتي هتكبر، بقالك سنين بتعيد وتسقط يا
فاشل، لولا نادر صاحبك كان زمانك مطرود
من الجامعة من زمان، أنت فاكرني معرفش.

يردف الطرف الآخر في غضب:

-أنت عاوزني أبقى تحت رحمتك زي ماجد وأبقى خادم
تحت رجلك وأنفذ كل أوامرك، أنا عمري ما هكون
زيه ومنتساش أنه مش ابنك أصلاً....

وقبل أن يكمل حديثه يلطمه والده على وجهه، ويردف
في غضب:

-ماجد دا ابني وببيد الشركة وأملاكي كلها وأنا مطمئن
وهكتبله كل املاكي وشركاتي فاهم وأنت أثبت إنك مش
ابني، وعربياتك وكل حاجة تخصك مش هتشوفها تاني.
وأنترع منه مفتاح السيارة الخاصة به، وأردف محذراً:

-إلا إذا اشتغلت، ورجعت مكتبك مستنيك مع أنك
متستحقهوش أبداً.

وفي ظلّ حديثهم يدلف ماجد إليهم ويبيده أوراق مهمة،
تبدو على وجهه علامات السوء والحزن، ويبدو أيضاً
أنه سمع حديثهما بأكمله:

-محمد بيه اتفضل لازم توقعيك على الأوراق دي
ضروري.

ينظر مطأطأ الرأس في دهشةٍ وخجلٍ:
-ماجد.

لم يكن يريد أن يستمع لهذا الحديث، فهو أخيه ومنقذه،
وها هو الآن لقد جرح مشاعره بدون أن يرف له جفن،
بكل أنانيةٍ وحقارة. والده ينظر إلى ماجد في إشفاق، فهو
يحبّه حباً جمّاً ويخشي على مشاعر صغيره:

- يلا بينا من هنا يا بني ورانا شغل كثير ولازم يخلص.
تقدم إلى والده بضع خطوات، ولكن والده أشار له بيده
أن يتوقف مكانه:

-أرجع مكانك، أنا ابني ماجد.

يتحدث ماجد في هدوء بالرغم من انفطار قلبه للتو:
-أوامرك يا محمد بيه.

يردّف والده في حنو:

-يلا يا بني، من هنا الفيلا دي تخنق.

يتركاه وحيدًا بئسًا. يحدث ذاته منفعلًا بصوت عالٍ:

-أنا ياخذ مني عربيّتي، والشغل، الشغل أنا كرهت
نفسى منكم ومن الشغل بجد، أوف.

ثم يردّف مجبورًا على أمره:

-هروح أم الشغل دا بس اخد عربيّتي.

يسخر من والده مقلدًا إياه:

-ماجد ابني لاالاه، وعربيّتك مش هتشوفها.

الفصل الثالث عشر (عصبة التنين)

جئة في منزلها و ها هي تستعد لتذهب إلى الامتحان وتلملم أغراضها المتناثرة في فوضى. وبينما هي كذلك يرن الهاتف النقال، وتجد أن من يهاتفها هي صديقتها، تخبرها أن تفتح لها الباب فهي بالتأكيد لن تنقر على بيتها في هذه الساعة فالوقت مبكر والشمس في غسق الدجى إلا قليلاً تكاد تنقشع أو لا تريد وتستحي من نفسها. ها هي تستقبلها استقبالاً رحباً، بيدها حقيبة بلاستيكية، سوداء اللون.

تنظر في غرابة وتسأل في بلاهة:

-إيه دا؟

تجيب صديقتها في جدية صارمة:

-بصي البسي دا وتعالى ورايى الكلية. تعالى على معاد الامتحان بالضبط تمام.

تتفقد الحقيبة وترى ما بدخلها من ثياب، بمزيج من السرور والحزن:

-إيه دا؟ رداء ونقاب.

-هو يوم واحد اسكتي بقاء، أنتِ كل حاجة تعيطي.

ترد ف برب وما زالت عيناها دامعة:

-أنا بعيط عشان كان نفسي البسه من زمان، بس
مكنتش عاوزة البسه عشان أستخبي من حاجة يا ندي،
كان نفسي البسه عن اقتناع وحبّ.

تجيب في عجلة:

-هتأخر سلام بقاء، على معادنا.

... تركتها ندي وذهبت إلى الجامعة لتجد حلًا لهذه
الورطة، أو على الأقل تستعين بأي شخص يساعدها، أو
تعلم الحقيقة على الأقل. هي تعلم جيدًا أن جنة ليست
خائفة من طارق، هي خائفة فقط من والده والسلطة التي
يملكها. وأيضًا خائفة من المجتمع والناس والفضائح،
فمهما فعلت لن يصدقها أحد. ومن يدري ربما تضطهد
وتنبذ، وربما تنتحر بعد ذلك خشية أعين الناس وحديثهم
عنها بالسوء.

* **

في الكافتيريا نادر وحازم ينتظران ندي.

وبينما هما يتحدثان، تدلف إليهما وتجلس معهما.

ترمقهما بقر ف وتتحدث بحزم بالغ:

-طبعا مش عارفين أنا كنت عاوزة اقابلكم ليه؟

يجيب حازم بجدية:

-لا مش عارفين حضرتك، ممكن تقولي لينا؟

نادر ممازحًا، وقد ضيق عيناه وهربت من ثغره ابتسامة
بلهاء:

-هو القمر بيطلع بالنهار؟

ندى بحزم:

-أستاذ نادر من فضلك لم نفسك أحسن ما أوريك النجوم
بالنهار مش القمر، فاهم ولا مش فاهم؟

حازم يلكزه أن يصمت، ويتابع في هدوء وبملاحٍ جادة:

-بس يا نادر، خرينا نفهم من حضرتها، كمي حضرتك.

- هدخل في الموضوع على طول.

تخرج العقد السخيف من حقيبتها، وتقذفه على وجهيهما
في قرف وانفعال:

- اهو اتفضلوا أنا بجد مكنتش متصوركم

بالقدارة دي ولا السفالة دي، أنت يا حازم بجد

يا خسارة، أنت كنت بتقول أنها أختك.

حازم في حالة صدمة، يحاول أن يللم شتات عقله:

-أحلفلك بأي معرفش ونادر كمان كان معايا وقتها
ومنعرفش حاجة.

نادر مصدق على حديث حازم:

-يا أنسة ندى أحنا فعلاً والله ما نعرف حاجة غير
دلوقت والكلام دا منعرفوش أصلاً، وحتى التوقيع مش
خطنا، خط حازم أسوأ من الخط دا، وأنا خطي أجمل
من الخط المعفن دا معلىش بس اللي كاتب أهبل.

ندى بجدية وتنظر لهما بازدراء:

-يعني إيه بالضبط، دي الورقة اللي هدد بيها صاحبكم
صاحبتي وأنتم شهود على كدا قدامكم أهو ولا مش
شايقين؟

حازم مبرراً:

-يا ندى صدقيني أي هدفنا في أننا ناذيها و أنتِ عارفة
كويس هي زي أختي ويمكن أكثر.

نادر في هدوء ولكنه يشتعل من داخله:

-مفكرتيش ليه قبل ما تحكمي علينا أنك تسألينا مش
يمكن مظلومين؟

ندى بحنق:

-أنتوا صحابه على ما أعتقد، واكيد بيقولكم كل حاجة
ولا إيه، وطبعا بشوية فلوس هتوافقوا ولا إيه؟
تتبدل ملامح حازم وشعر أن الكلمة اخترقت قلبه،
كخنجر دَب في قلبه:

-قصدك إيه يا ندى؟ قصدك أننا فقراء وأي حد يشترينا
بفلوسه، أظن أنك متعرفيناش كويس، و لو الفلوس دي
هتأذي بني آدم ملوش ذنب أنا مستعد احرقهم قدام
الشخص دا ولا أذي حد، أزاي فكرتي فيّ كدا يا ندى؟
أنا عمري ما أذيت حد، ولو على الفلوس مانا بنظم
الرحلات من أربع سنين، كنت خدت من الفلوس دي،
بالعكس أنا كنت بحط من فلوسي، لما الفلوس تقصر
معنا.

نادر منصدم ومنفعل من ردة فعلها:

-أظن أنك اهانتينا كثير بما يكفي، بس التفكير اللي
جواكِ عمره ما هيتغير، بلاش تحكمي على حازم كدا دا
أنتوا عشرة سنين، وعارفة كويس هو مين وتعامله
أزاي، وهو مش من الناس دي، إنما أنا متعرفيناش من
حقك تقولي كدا.

حازم ببؤس شديد:

-أنتَ لسه هتشرحلها ربنا وحده اللي عالم، بجد يا ندى
أزاي فكرتي أني ممكن أعمل حاجة زي كدا؟

ندى وتتذكر أنها زادت الحنق عليهم كثيرًا وحاولت
تدارك الموقف سريعًا:

-حازم صدقيني أنا مش عارفة، أنا قولت كدا أزاي من
عصبيتي، بس أنتَ خليك مكاني وقولي هتعمل إيه؟
حازم بجدية وهدوء:

- هعمل أكثر من كدا طبعًا، أنا بقولك جنة دي زي
أختي، أزاي ممكن تفكري حتى مجرد تفكير أني اذيها؟
ندى بهدوء و زال انفعالها:

-طيب أنا محتاجكم تساعدوني نتصرف أزاي، و
عاوزاكم توعدوني وعد أنكم مش هتقولوا لحد أبدًا
ويبقي دا سر بينا.

حازم ونادر بصوت واحد:
-وعد.

ندى مفكرة وتساءل وجوههم البلهاء:

-طيب هنتصرف أزاي شغالوا دماغكم بقا، أنا دماغي
هتنفجر من يومين.

نادر ببلاهة، يظنها ذكاء:

-نتقطع الورقة دي وخلص.

ندى تنفعل من غبائه:

- ما هي دي مش الأصل يا ذكي، هي لو الأصل كنت
قطعتها من زمان.

حازم وقد تطرقت إلى عقله فكرة لامعة:

-أنا عندي فكرة ما تروح لوالد طارق وتقوله وهو أكيد
هيساعدها، لأنه عارف ابنه.

ندى توترت وانفعلت:

-لا طبعا دا أكيد فاسد زي ابنه، فكر معايا وبلاش
غباء.

نادر:

-بالعكس حازم بيتكلم صح، محمد بيه راجل طيب
ومتفاهم جدًا وأكيد هيساعدها وعمره ما هيفكر إنها
بتكذب ولا أي حاجة لأنه عارف ابنه كويس .

ندى بهدوء يعتريه الخوف:

-نادر أنت متأكد؟

نادر بثقة تامة:

- متأكد جدًا كمان.

حازم باطمئنان:

-يا ستي متخافيش والله أحنا معاكِ.

ندى تضيق عيناها وترمقه مزارحة:

-وأنا مش خايفة، أنت المفروض تخاف.

حازم وتعلو ثغره ابتسامة هادئة:

-وابتدينا الجنان، ارجعي زي ما كنتِ الأول جدية كدا

وبحزم كلمينا.

ندى وتتركهم وتغادر باسمه:

- طيب يلا هنتاخر على الامتحان.

* **

في المدرج في الصف الأخير تجلس فتاة بجانب فتى،
ويثرثران ثرثرة لا داعي لها، أو يوجد لها داعي ولكنها
قد لا تهتم البعض.

تسأل الفتاة متعجبة:

-أنت عملت إيه؟ دي مجتش يا طارق.

يعقد حاجبيه ويجيب في استعلاء:

-أنا برضو بعمل حاجة، أنت تعرفي عني كدا؟

* **

تتذكر ما فعله قبل سنوات عديدة تلك الذكرى التي
دمرتها وحسب، هي وحدها.

قبل ثلاث سنوات قبل أن تعرفه أو تتقرب منه وتمنحه
كل شيء ليثق بها.

شخصان يسيرا جنبًا إلى جنبٍ، يتحدثان بحب صادق
ومشاكسة، يقتربا من بائع متجول يبيع حمص الشام.
تجذب الفتاة، الفتى من يده وتجيب في طفولة:

-رامي تعال جرب حمص الشام، طعمه تحفة بجد.
يجيب الفتى مازحًا:

-سارة كان ممكن نروح مطعم على فكرة، ونأكل أكل
أنصف من كدا، ليه مصمة على أكل الشارع؟
يبتسم ثغرها وتجيب في عفوية:

-رامي لو كل واحد ساب الناس الفقيرة دي وراح كل
في مطعم، منين هيجيبوا أكل عيالهم، ومش يمكن أحنا
رزقهم طيب؟
يخبرها متعجبًا:

-أول مرة أشوف واحدة معاها فلوس وغنية وبتحس
بالناس الغلابة، وعشان كدا أنا اخترتك وحببتك و
خطبتك.

تناوله كوبًا من حمص الشام:

-خذ كلَّ قبل ما يبرد طيب، أزودلك شطة؟

يحاول إلا يظهر قرفه فالكوب لا يبدو نظيفًا:

-لا شكرًا مش عاوز.

تفهم على الفور ما يشعر به دون أن يتحدث:

-رامي الكوبيات نضيفة متقلقش، أكيد يعني مش هخليك

تأكل حاجة مش كويسة يعني.

يجيب متململاً:

-بس يا سارة بصي مش عارف، مش واثق يعني.

تعقد حاجبيها وتنفرج من ثغرها ابتسامة:

-رامي، متخافش مش هتموت يعني، عارفة أنك عندك

عقدة ومبتحبش تأكل حاجات إلا من مصادر موثوقة،

أنت في العموم عندك فوبيا للنظافة عمومًا، بس

صدقني، دا حد نضيف جدًا.

يتناول الكوب منها ويأخذ منه القليل، فهو يحبها بل

يعشقها وإن كان ما تعطيه إياه سمًا سيتناوله بكل حب:

-إيه دا بجد؟

تجيب في قلق وخوف واضعة يدها على قلبها:

مالك أنت كويس، رامي رد عليا؟

يخبرها باسمًا:

-دا ألد حمص شام دوقته بحياتي.

- خضتني على فكرة، كنت فاكرة في حاجة.

يقترّب منها ليطلع قبلة على خدها ولكنها تتملص منه،
وتجيب محذرة:

-رامي أنا خطيبتك مش مراتك، عشان تبوسني كدا.

يجيب ضاحكًا:

-دي بوسة بريئة صدقيني.

تضيق عيناها وتزم شفتاها:

-ولا بريئة ولا خبيثة، أزم حدودك عشان ربنا يكرمنا،
ماشى.

ينظر لها بحزن:

-سارة ممكن أحضنك لأول مرة وآخر مرة، أنا هسافر،
ومش عارف حاسس أني مش هرجع تاني.

تضيق عيناها مجددًا:

-رامي أنا عارفة الحركات دي، وقولتلك لا، لما نتجوز،
وبعدين متقلش هترجع، أنا واثقة، ربنا هيرجعك ليا
تاني.

يتركها ويسير ناحية سيارته ومن ثم يقبل الخاتم الذي
بيده:

-سارة بحبك.

تنظر له بحب:

-وأنا كم.....

وقبل أن تنطق بحرفٍ واحد، أتت سيارة مسرعة
وصدمته بقوة وأفضت بحياته فوراً، ذهبت إليه راکضة
لا تعرف ماذا تفعل من هول الصدمة، شعرت أن حبالها
الصوتية اختفت لا تستطيع الصراخ أو البكاء حتى.

أحاطته بذراعيها وهي تصرخ:

-رامي متسبنيش يا رامي، أنا أهو بحضنك،
متخضنيش من فضلك، أنا عارفة أنك بتضحك عليا و
هتقوم دلوقت، حد يطلب الإسعاف يا ناس الحقونا
والنبي.

يتجمهر حولها الجمع الغفير ومنهم من قاس نبضه
وأخبرها أنه توفي، ولكنها لم تكن تستمع لهم، فقط كانت
تردد في هستيريا واضعة أذنها على مكان قلبه:

لا عايش، والله عايش، حد يطلب الإسعاف و نلحقه، أنا
متأكدة هو عايش مش ممكن يموت لا.

يقلب الناس الذين تجمعوا حولها كفّ بكفٍ ويهتفون:
لا حول ولا قوة إلا بالله، ربنا يصبرك يا بنتي، إنا لله
وإنا إليه راجعون .

تسير مركبة صغيرة يصدر منها مقطع لأغنية ما:

"الحقيقة أن الحياة ضحكت علينا

لا الفراق و لا اللقا كان بين أيدينا

لما يومها حضنتني و بعدين مشينا

ليه ماقولتش ان ده الحزن الأخير

كنت سيبني لحد آخر لحظة جنبك

سيبني اقولك أد ايه و ازاي بحبك

مهما طال بينا البعاد مش هنسى حبك

و اشوفك يوم على خير "

تطرد هذه الذكرى سريعًا قبل أن تنتابها نوبة الهستيريا
التي تصيبها من حين إلى آخر:
-بتكلم جد مبهرش يا طارق.

يجيب بلا مبالاة:

-ولا حاجة أديتها نسخة من العقد، ومن بعدها
مشفتهاش، خافت.

تحتقره ولكنها لن تكشف نواياها على الأقل الآن:
-إيه الدماغ دي؟ دماغ شيطان، حرام عليك.
يجيب ضاحكًا:

-يا بنتي الشيطان دا بيتعلم مني.

بعض الأشخاص يظنون أنهم أشرار وفي الواقع هم
بُلهاء. أكاد أجزم أن كل منا يعتقد أنه شرير لأنه قال
كلامًا جارحًا دون قصد منه فتأذي الطرف الآخر، أو لم
يتأذى هو فقط تظاهر أنه الضحية. وكم من ظالمًا يعيش
دور الضحية. وكم من مخادع يتقمص دور المخدوع.

* **

دلف ندى، حازم، نادر. إلى المدرج. ثلاثي القوة أو
التنانين المقاتلة هذا اللقب جدير بهم فهم مقاتلين
وأشقياء. أعتقد أفضل وصف لهم هو عصابة التنين وهي

عصبة واتحاد سري ضم مجموعة من أمراء ونبلاء أوروبا الوسطى والشرقية للوقوف بوجه المد التركي العثماني. تنتظر عصبة التتتين، الأستاذ الجامعي الذي يحول حياتهم جحيماً، ويضع لهم امتحان بعد أن ظنوا أنه نسي أمرهم تماماً. تجلس ندى بجوار حازم وهناك مسافة معقولة بينهما، بينما نادر يذهب ليجلس بجوار صديقه طارق، بالرغم أنه سار مجبراً فهو كان يريد أن يبقى بجوار من رمته بسهم الهوى وأصبح متقلباً خالي الدّجى، متصدعاً من الهيام.

يتحدث حازم مع ندى مستغرباً:

-هي فين جنة لحد دلوقت دي أتأخرت جدّاً؟

ندى تهمس لهذا الغبي:

-يا بني اسكت هتفضحنا، لما يجي الدكتور وكدا هتيجي دا معادنا، اسكت بقا. رغاي موت يعني.

* **

حاول نادر أن يجد مكان بجوار طارق ولكنه لم يجد، لذلك ذهب إلى آخر المدرج. وفي هذه الأثناء سمع حديث سارة وهي تتحدث مع طارق بخصوص شيء ما دون قصد بالتأكيد.

تسأل في عجب:

-طيب لو هي عملت حاجة أنت هتعمل إيه؟

يجيب في غرور وثقة:

-متخافيش اللي خلاها متجيش الامتحان هتعرف تعمل
حاجة بعد كدا، اللي زيها خواف يا سارة، عامل زي
النمل بالضبط.

ترد ف متوترة فهي تعلم أن ندى ستساعد صديقتها وهذا
هو الذي تريده والمطلوب:

-طيب وندي دي أكيد هتساعدها؟

يحادث نفسه في سخرية ويظن أنه ذكياً بل خارق
الذكاء:

- لو قلت عليك حمارة، الحمارة هتزعل آه وربنا.

يجيب بهدوء يتخلله السخرية:

- قولتلك متخافيش، وحتى لو عملت حاجة بصراحة هي
زي القمر وأدب وأخلاق من الآخر ملاك وفوق دا
محترمة كمان، يعني أي حد يتمناها بصراحة.
تعقد حاجبيها في غيظ:

-بقا كدا، طيب يا طارق شوف مين هيهتفل بعيد ميلادك
النهارده ها.

يتناول يدها ويطبع عليها قبلة رقيقة:

-يا حجة بهزر مهزرش يعني، يا قلبى أنت، خلاص بقا يا حب، مفيش غيرك هتكون في حياتي.

ثم يردف في سخرية:

-يعني هتحتفلي أزاي هتلمي صحابنا وتعملي حفلة، وهتهربي مني زي كل مرة أو هتخليني أعمل اللي محتاجه بس وأنت مش وعيك؟ بتاخدي مهدئات كثير كل مرة بكون جانبك فيها، هو أنا مش فاهم، بس حاسس أني بس اللي بحبك بجد، وأنى مش فارق معاك.

خيم الصمت بينهما، هي حاولت أن تنشغل بهاتفها وكأنها تحدث صديقتها. وهو أخرج لفافة تبغ وأشعلها في نفور وظلّ ينفث في شراهة. لقد سمع حديثهم نادر ولكنه ظلّ صامتاً، هل يواجهه بما يعرف، لن ينكر ولكنه لن يهتم للأمر.

* **

تدلف إلى المدرج فتاة مرتدية رداء وتغطي وجهها، وتجلس بجوار صديقتها ندى.

حازم وعلامات الاندهاش تعلو وجهه:

-مين دي هآ؟

ندى تشير له أن يصمت:

-يا بني اسكت بقا، وأنت مالك؟

يدخل الأستاذ الجامعي ومعه المساعدين له ليوزعوا أوراق الامتحان، والجميع وبدون استثناء يتطلع في ورقته ويحاول أن يكتب أي شيء. طارق يقلب في الورقة يمينًا وشمالًا وهو غير مستوعب ما الحل أو ما هذه التفاهات التي يريد منا حلها؟

يهمس لسارة لعلها تعرف الجواب:

-أي الحل أنا مش فاهم حاجة؟

تخبره أن يصمت:

- اسكت بقا، أنا مش عارفة حاجة زيك، أسأل نادر!

طارق يجيب ممازحًا ويرمق نادر بنظرات أمرّة:

-نادر يا ولاه اجابة الأسئلة دي إيه يااض؟

نادر:

-إيه عاوز دلوقت؟ لسه استني هحل وابعثك.

بالرغم أن نادر غير راض عن أفعاله ولا يريد مساعدته ولكنه فكر قليلًا، لو أنه تغير معه في المعاملة، فسيكون كما يقولون " قليل الأصل ".

...حازم يحاول أن يكتب أي شيء بخطه الذي يشبه آثار الدجاجة بجوار ندى ومازال يسألها في فضول:

-مين دي؟

تجيب ندى متأففة:

-يا بني حل في ورقتك ومالكش دعوة بحد، أنت مالك؟

لقد كان مركز جدًا، يمتلك عيون الصقور بالرغم أنه
أبله. يلمح الاسم الذي على الورقة فيجد جنة قدري،
ومن فرحته بها ولأنه أخيرًا رآها بعد غياب وأمد بعيد
لكز ندى في كتفها وأجاب فرحًا:

-جنة أهى جنة أهى.

تكتم على فمه ليصمت، ذلك المصيبة سيتسبب في
طردهم وفضحهم كذلك:

-يخربيتك اسكت هتفضحنا.

...بعد أن مضى وقت الامتحان تنفس المساعدين
الصعداء، وأخبروا الجميع أن الوقت انتهى، فليغادر
الجميع الآن.

* **

في الكافتيريا ندى تضرب حازم بكل قوتها وتسدد له
لكمات على كتفه، كادت أن تخلعه وبدون مزاح أيضًا،
الحق يقال فتاة قوية حقًا.

ندى بانفعال:

-كنت هتفضحننا بذكائك مش عاوزة أقول غباءك.

يمسك كتفه متألماً:

-يا ستي كانت واحشني مش أختي الله، بس كفاية كتفي
أتخلع.

جنة بصوت هامس:

-ولا يهملك يا حازم متزعلش بقا من ندى أنت عارف
أنها عصبية شوية أو كتير مش متأكدة.

تكف يدها عنه وتجيب مازحة:

-هو يقدر اصلاً.

* **

شخصان يقفان بعيداً ويتحدثان في استغراب وحيرة.

يسأل في عجب:

-هي مين اللي قاعدة مع ندى دي وحازم؟

تجيب في بلاهة:

-معرفش وأنا مالي، وبعدين أنت مالك؟ ما تسيب الناس
في حالها.

* **

تتحدث ندى وجنة مع بعضهما.

ندى في ثقة وقوة:

-بصي أنت لازم تروحي لمحمد بيه أبو طارق لأن كدا
مينفعلش تقدي كدا كثير، وبعدين مينفعلش تفضلي
مستخبية كثير، وممكن يا ست هانم ينفذ تهديده.

تجيب في خوف:

-أنا خايفة ليكدبني أو يبقي زي ابنه.

يتدخل حازم موضحًا:

-لا يا ستي متخافيش محمد بيه شخص طيب وبيعرف
ربنا، وهيعاملك زي بنته كمان.

جئة في انفعال:

-إذا كان كدا فعلاً ليه ربنا ابتلاه بواحد زي ابنه دا؟

ندى في هدوء:

-أهو أنت بتقولي ابتلاه.

حازم مقررًا:

-خلاص بقا من بكرة تروحي لمحمد بيه وهو هيتصرف
ومتخافيش من أي حاجة، أنت الصبح، وأحنا هنشهد
معاك بكدا لو لازم الأمر كمان، أنت أختنا ومش
هنسيبك لوحدك مهما حصل.

تجيب في إصرار وقوة غير معهودة:

-أنا مش خايفة من طارق بالعكس أنا كنت خايفة من
أبوه، بس دلوقت هيشوف معاملة تانية خالص.

حازم يصفق بيده في حفاوة:

- الله، الله، الله أكبر أي دا كله، أيوه هي دي الاسترونج
انبدتت وومن.

الفصل الرابع عشر (لقاء وتوريط الذات)

لقد قررت أن تذهب للقاء رجل الأعمال و والد ذلك الشاب المدلل. كانت ستذهب سواء شاءت أم أبت، عصابة التنين لم تكن ستتركها بكل حال من الأحوال. ها هي أمام ناظرها شركة كبيرة ومخيفة نوعًا ما.

تمسك بيد صديقتها في خوف ورهبة:

-ندي أنا خائفة، تعالي معايا.

ندي في حزم:

-خليك قوية، الراجل مش هياكلك يعني، متخافيش.

نادر مشجعًا لها:

-متخافيش، واتكلي على الله.

بالرغم من التشجيع إلا أنها خائفة و متوترة، تنظر بعطف ناحية صديقتها:

-بقولك يا ندي ما تروحي مكاني.

حازم محاولًا تلطيف الأجواء قليلًا:

-بصي اعتبريه باباك مثلاً.

ندى تنفعل من غبائه ومن رأس الفجل الذي يمتلكه:

-أنتَ أهبل يا حازم أبوها أي بس؟

نادر محذرًا:

-لو مروحتيش دلوقت اعتبري أن طارق هيفضل يذلك
على طول.

قد تكون خائفة ولكنها تشجعت قليلًا:

-لا خلاص أنا هروح.

محدثة ذاتها:

-أنا اتدل هنا دلوقت، أحسن ما اتعذب طول حياتي.

تتركهم قلقين وتدلف إلى داخل الشركة.

نادر وقلبه غير مطمئن:

-فاكركم إيه هيحصل؟

ندى بقلق:

-كل خير إن شاء الله.

حازم داعيًا لها:

-ربنا معاها.

* **

شخص يجلس في مكتب متحيراً، ولا يفقهه أي شيء في هذه الحياة بشكل عام. ما يفعله هو تنفيذ رغبة أبيه وحسب ليتوقف عن إزعاجه. ذلك الولد المدلل، لقد تجاوز سن الست وعشرون عامًا ومع ذلك ما زال يدرس في الجامعة، الذين في مثل سنه لديهم عمل خاص بهم، أو على الأقل لا يعتمدون على آباءهم، في توفير ظروف معيشتهم. فالعمل سواء إن كان وضيع أو حقير، لا يهم ما دمت تقكات لقمتك بعرق جبينك. فأنت شخص مسئول ويمكن الاعتماد عليك ويمكنك تكوين أسرة سوية.

تدلف إليه السكرتيرة وتسأله في جدية وهدوء:

-تحب تطلب أي حاجة يا فندم؟

يحدق بها من أعلى إلى أسفل ومن ثم يجيب بلامبالاة:

-أطلب قهوة.

وها هي سوف تذهب لتحضر طلبه ولكنه يستوقفها بتكبر:

-أنا لسه مخلصتش كلامي.

تعود وهي ترتسم على وجهها ابتسامة صفراء:

وتتطلب إيه كمان يا فندم؟

حاول أن يكتم ضحكته:

-الملفات اللي خاصة بشغلي لو سمحتي؟

قبل أن تذهب أرادت التأكد أنه لن يطلب شيء آخر:

- تأمر بأي حاجة تاني؟

باستعلاء:

-لا.

السكرتيرة تشعر بالغیظ وتحدث ذاتها:

-إيه طريقته المتكبرة دي، أوف، الأستاذ ماجد مش كذا خالص.

لقد أعتاد ماجد أن يعاملهم مثل عائلته وأصدقائه، لقد اكتسب ودهم وحبهم ووفائهم. يحدثهم باحترام وأدب بالغ أيضاً، دائماً ما يقول لهم، أنتم أصحاب هذه الشركات وليس نحن، أنها بيتكم الثاني فحافظوا عليه، ما نحن إلا بشر مثلكم، لولاكم ما كنا سنكون.

تحضر الملفات الخاصة بعمله وتضعها أمامه في ترتيب، ملفات كثيرة وضخمة ملأت المكتب بأسره.

يعقد حاجبيه مستغرباً:

-إيه دا كله؟

السكرتيرة بهدوء ومن داخلها سعادة غامرة؛ لأنه
سيعاني:

-الملفات التي طلبتها يا فندم!

محدثاً ذاته:

-يلههوي إيه دا كله؟

السكرتيرة بابتسامة صفراء:

-تطلب أي حاجة تاني يا فندم؟

يشير لها بيده أن تذهب، وعلامات الصدمة على وجهه:

-لا، وخدي الباب في أيديك.

* **

في هذا الوقت.

تصعد جنة بالمصعد إلى مكتب مدير الشركة، بالطبع

بعد أن سألت الأمن أين يوجد مكتب مدير الشركة.

تخرج من المصعد وتركض لاهثةً إلى السكرتارية:

-لو سمحتي عاوزة أقابل محمد بيه مدير الشركة

ضروري.

السكرتيرة تسألها بهدوء:

-معاك معاد سابق يا فندم؟

تجيب في ارتباك:

-لا مش معايا، بس أرجوكِ أنا عاوزة أتكلم معاه
ضروري.

السكرتيرة بحزم:

-مينفعش يا فندم، مقدرش أدخلك.

تتجمع الدموع في عينيها و بصوت باكي:

-أرجوكِ دي مسالة حياة أو موت بالنسبالي، أنا هتكلم
معاه كلمة واحدة بس.

السكرتيرة وقد تذكرت كلام أستاذ ماجد، فهو بالنسبة لها
أستاذ حتى وإن كان صغيرًا في العمر. أن لا يردوا أبدًا
ابن السبيل أو من يطلب المساعدة:

-هعمل اللي هقدر عليها، اسمك إيه وعاوزاه ليه؟

جنة بإصرار:

-اسمي جنة قدري، عاوزاه بخصوص ابنه طارق.

السكرتيرة بدت عليها علامات الصدمة:

-طارق.

محدثة ذاتها:

-أي اللي عملته يا أستاذ طارق المرة دي؟

تردّف السكرتيرة في عجل:

-ثواني استني هنا.

تتركها وتدلف إلى مكتب رئيسها في العمل مستأذنة،
لتحدثه عن الفتاة التي تحتاجه في أمر مهم للغاية يتعلق
بالحياة أو الموت. أخبرها أن تحضرها إليه وتدعها
تدخل.

تخرج السكرتيرة وتطلب منها مقابلة رئيس الشركة،
وتشير بيدها أن تدخل:

-اتفضلي يا فندم، محمد بيه مستني جوه، تقدرني تدخل.

تدخل المكتب على استحياء وتلقى السلام:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد بيه يشير لها بيده أن تجلس:

- و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم يردف بود:

-اتفضلي كنتِ عاوزه إيه يا بنتي؟

تفرك أصابع يدها في توتر وتتصبب حبيبات العرق من
جبينها:

-بصراحة أنا مش عارفة أقول لحضرتك إيه؟

محمد بيه يحاول أن يجعلها تهدأ:

-اعتبريني زي أبوكِ وقولي في إيه؟

تتناول من حقيبتها العقد السخيف وتعطيه له في خوف
وتوتر:

-بصراحة يا فندم اتفضل وحضرتك هتعرف كل حاجة.

محمد بيه بحزم وتتغير ملامحه:

-والمطلوب إيه؟

تضع يدها على وجهها وتنفجر باكياً:

-عاوزة ابنك يقطع الأصل، كل شوية يهددني، صدقني
يا فندم، أنا معرفش حاجة عن العقد دا أصلاً والخط دا
مش خطي ولا توقيعي، أنا مش عاوزه حاجة غير أن
ابنك يبعد عني ويسبني في حالي.

محمد بيه بحزم وجدية صارمة ويرمقها بنظرات حادة:

-وأنا إيه اللي ياكدلي كدا، وأن دي مش لعبة منك على
ابني، وأنك طمعانة فيه وفي أملاكه؟

تجفف دموعها وتنهض مغادرة في وهن:

-أسفة جداً أني جيت لحضرتك، كنت فاكرة أنك مش

زي ابنك واكتشفت إنكم واحد، أنا لأجت ليك بعد ربنا
عشان تساعدني، صدقني أنا مش عاوزه أي حاجة والله

غير ابنك يبعد عني، حضرتك أنا صحابي تحت ممكن
أنده عليهم وهما هيقولوا لك الحقيقة، كمان العقد دا
حضرتك باطل، أكثر ما هو حرام وأنه لا يجوز أصلاً.
يفكر قليلاً، متلذذاً بحديثها، فهو يعلم أن هذا عقد سخيّف
بالطبع، ولكن أصبح الشباب يستخدم هذه الاعيب
السخيفة للاستمتاع وحسب، و وضع أطار لعلاقته بفتاة
يشتئها ويخبرها أن الأمر غير مقلق وأنها الآن
أصبحت حلاله. هذه الفكرة الرخيصة التي أصبحت
تسيطر على عقول الشباب في هذه الآونة الأخيرة. ومن
ثم تذكر ذلك الشاب المستهتر، الذي يجب أن يتعلم
الأدب ويعلم أن الله حق.

في مجتمعنا شاب جامح لا لجام له، زوجوه لتروضه
زوجته. هل زوجته كانت من قبل مروضة أسود لا
سمح الله أم كانت تعيش مع مجموعة من القبائل
البربرية؟

حتى مروض الأسود الشهير محمد الحلو، قد غدر به
أسده في نوبة من نوباته والتقمه التقام، بالرغم أن الأسد
حزن حزناً شديداً على صاحبه، ويقولون أنه أضرب
عن الطعام ومات بعد وفاة صاحبه بعدة أيام.

وماذا يحدث يا عزيزي، لا يروض الفرس الجامح، بل
قد يزداد الأمر سوءًا، قد يصل إلى أن يقتل أو يشوه
زوجته مروضة الأسود.

أستوقفها قبل أن تغادر وأمرها أن تنتظر:

-استتي يا بنتي هنتفق اتفاق وهيكون بينا عقد رسمي.

تجيب ببلاهة وعدم استيعاب:

-اتفاق إيه وعقد إيه؟

محمد بيه بهدوء عاقدًا يدًا بيد:

-اتفاق جواز.

تصدم من حديثه وتجيب بذات البلاهة:

-إيه، مش فاهمة؟

محمد بيه ويعدّل من جلسته:

-ببساطة هنحول العقد العرفي دا لعقد حقيقي.

تجيب متعجبة وخائفة:

-وأي المقابل، وإيه اللي يخليني أقبل بكدا؟

محمد بيه بهدوء و جدية:

المقابل 5 مليون جنيه هيبقوا في حسابك من دلوقت،

واللي يخليك تقبلي أن محدش هيصدقك ولا أنك

متعرفيش حاجة عن العقد العرفي دا، أظن أنك مش
وش فضايح ولا بهدلة.

تتجمع الدموع في عينيها وتجيب باستعطاف:

-يعني حضرتك عاوزني اتجوز ابنك، اللي أنا أساسًا
محبوش، وبكرهه؟

محمد بيه في هيبة:

-بأيديك تقبلي وأنتِ حرة، العقد دا لمدة سنة وبعدين
هتتطلقوا وكل واحد يرجع حياته زي الأول. هتنتهي
السنة وهتكوني حرة ومعاك خمسة مليون جنيه في
حسابك.

تنظر له في استعطاف وتوتر وخوف جميعها مشاعر
تتخللها في هذه اللحظة:

-وحضرتك عاوزني أوافق، أو أعمل كدا ليه؟

يتجاهل سؤالها مجيبًا في حزم:

-مش مهم، المهم زي ما طارق ابني عمل العقد العرفي
دا، أنا عملت العقد دا وهخليه يوقع عليه من غير ما
ياخد باله.

تتحدرد الدموع من عينيها في إرهاق:

-وحضرتك بتعمل كدا ليه؟

يجيب بودٍ، ويخرج لها عقد موقع ومختوم من محامي مشهور، يبدو أن والده كان سيزوجه بأي حال من الأحوال سواء بها أو بغيرها، وبالرغم من ذلك كان يريد أن يزوجه ابنة صديقه في العمل، يبدو أنها لم تكن من نصيبه، لا بأس المهم أن يكسر شوكته، ويقسم ظهره:

-هتفهمي بعدين، الأسبوع الجاي، تبلغني أبوك أننا معزومين عندكم على الغدا، انتهت الزيارة، وياريت قبل ما تمشي توقعي على العقد دا.

لقد أنهكها البكاء و جفونها أرهقت، كانت خائفة ومجبرة:

-تحت أمرك.

لكنها لم تكن سعيدة، فهي أرادت أن تصلح حياتها، ولكن على ما يبدو قد جعلتها سوداء أكثر مما كانت عليه، ها هي قد فتحت أبواب الجحيم على ذاتها وستنتظر ما سيحدث لها.

...بعد أن غادرت طلب من السكرتيرة أن تأخذ هذا العقد لابنه المدلل ليوقع عليه. والآن سينقلب السحر على الساحر، دائماً ما أسمع هذه الكلمة ولا أعرف سرها. هل تعرف عزيزي القارئ؟ إن كنت لا تعرف

دعني أشرح لك تشير العبارة إلى أنّ الشخص الذي يستخدم السحر يتعرض لنتائج أفعاله السحرية. ما يعنيه أنه يتذوق من نفس الكأس التي سقى منها الآخرين. تذهب السكرتيرة في وجلّ وتطرق عدة طرق على باب مكتبة وتطلب منه في رجاء أن تدلف إليه. يأذن لها بهدوء وتأن تعطيه العقد وسط كومة من الأوراق وتخبره أن رئيس الشركة يطلب توقيعه فوراً على هذه الأوراق الرسمية والمهمة بشكل مبالغ. وبالطبع لأنه إنسان مستهتر وغير مسئول، وقع على الأوراق بدون قراءتها حتى. في لامبالاة غير طبيعية، لقد اعتاد أن تسير الأمور بهذا الشكل، دائماً وعلى الدوام.

* **

في هذا الوقت مازال أصدقائها ينتظرون أن تأتي، من كثرة انتظارهم شعروا أن الشمس تكاد تخرق رؤوسهم، وأنهم مثل العبيد الذين كانوا يعرضون أيام الرّق في سوق عكاز. وبعد مضي الوقت أخيراً ظهرت لهم بعيونها الباكية والمرهقة. جميعهم بصوت واحد:
-إيه في إيه؟ حصل إيه؟

تسدل دموعها رغمًا عنها:

-ممكن نمشي يا ندى لو سمحتي؟

حازم مستغربًا:

-في إيه بس؟ بتعيطي ليه؟

نادر مصدومًا:

-مالك؟

تحاول أن تجفف دموعها التي لا تتوقف، وتجيب في صوت مبجوح محشرج:

-مفيش حاجة، أنا كويسة، ممكن نمشي يا ندى من فضلك؟

ندى تنظر لها بعطف:

-خلاص يا حبيبتى متعيطيش بقا، هنروح أهو.

* **

بعد أن غادرتا. في غرفتها بصوتها الباكي محدثة صديقتها، التي ستفعل أي شيء لكي لا يصيبها مكروه. واضعة يدها على رأسها وتبكي مثل البومة:

-يا ندى أنا ورطت نفسي.

ندى تحاول تهدئتها:

-أهدي بس في إيه؟

تلطم على وجهها:

-طارق هيتجوزني رسمي.

ندي وذهلت كليًا:

-بتقولي إيه أنت؟

-زي ما بقولك دا اتفاق بيني وبين محمد بيه.

ندی:

- اتفاق إيه؟

- اتفاق أني اتجوز ابنه لمدة سنة ولازم نعيشها
كزوجين سعداء مع بعض، وأنا مش بطيقه
ازاي هعيش معاه؟

تعقد ندى حاجبها من هول ما تسمع:

-ولو محصلش كدا إيه هيحصل يعني؟

ترتعد فرائصها وتشعر أن ضغطها ينخفض تدريجيًا:

- اللي هياذي الثاني أو يحصله حاجة، أو يطلب الطلاق
الأول، هيدفع 10 مليون.

ندی وتكاد تجن ولكنها تحافظ على رباطة جأشها، ما
كان يجب أن تتركها بمفردها:

-أي خلاكِ توافقي على كذا؟

تجفف دموعها محاولة أن تهدأ و لكن لا شيء يفيد:

-عشان لو موافقتش طارق هيفضل يذلني، وأبوه قالي
أنتِ مش عاوزة فضايح طبعًا.

ندى في محاولة منها لجعل الأمور لا تسوء أكثر،
ولكنها تسأل في غباء غير معهود:

-وأنتِ إيه مز علك دلوقت، خلاص كل حاجة تحلت
أهي؟

تسأل باكية:

-أزاي هعيش مع حد بكرهه؟

ندى لقد هربت منها جميع المشاعر في هذه اللحظة، لا
تعرف ماذا تفعل:

- لما يجي وقت الجوازة يبقي يحلها ربنا.

ترد في بكاءٍ وخوفٍ:

-الأسبوع الجاي هيجوا يخطبوني، أنا ممكن أموت
نفسى ولا أتخطب لوحد زي كذا، ميعرفش ربنا، وكافر.

ندى مقلبه كَفَّ بكفٍ:

-ليه بتقولي كدا، لا اله الا الله، مينفعلش نقول على حد
كافر وهو مسلم زينا، كدا هتاخدي ذنبه.

ترد فف انفعال مختلط بالبكاء:

-واحد ببشرب وبيعمل كل حاجة حرام هفكون أف ففر
كافر، وأنا هقوله كدا فف وشه ومش هخاف منه. حاسة
إنف هموت، أتمنى أموت قبل الفوم دا.

لقد حلت الكارثة ولقد وقعت الواقعة، لا مفر من
المواجهة. ربما فف ففر كل شفء بلحظة واحدة، ربما.

الفصل الخامس عشر (تصحيح الأمور)

بعد ستة ايام مضت عادية وهادئة.

كان باق يوم واحد على الخطبة، ولا تعرف كيف تخبر
أبوها بالأمر. ماذا ستقول؟ تكورت الكلمات في حلقها،
تجلس بجواره وتفرك يديها بتوتر. تريد أن تتحدث ولكن
لا تعرف كيف؟

والدها قد خالط الشيب شعره إلا قليلاً، يشعر بتوترها
ويفهم هذا جيداً.

والدها بحنو:

-عاوزة تقولي إيه؟

تجيب بتوتر واستحياء:

-بصراحة يا بابا في حد متقدملي وجايين بكرة.

يرمقها بنظرة خاطفة وفي رصانة يجيب:

-أنا عارف، ولازم تجهزي نفسك وترتبي البيت، مع
والدتك.

نظرت مضطربة وسألت في غياب:

-أنتَ عرفتَ أزاي يا بابا؟

أجاب في مازجة:

- اتصلوا عليا من 5 ايام، وكانوا بيطلبوا أيدك، وأنا ايدتها لهم.

تنظر له في استعطاف:

-يعني خلاص هتسبني بسهولة كدا؟

يربت على كتفها بحنو:

-مصيرك هتسبيني لو مكنش بكرة هيبقي بعده.

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تنظر في استعطاف:

-بس أنا مش عاوزة اسيبك لوحداك.

يكفكف دموعها ويسأل في حنو:

-أنتَ بتعيطي ليه دلوقت؟

بصوت واهن:

-عشان هسببك واروح بيت تاني غير بيتك.

والدها بحنو:

-ممکن ترفضي لو عاوزة محدش هيجبرك على حاجة

يا بنتي، أنتَ مش عاوزاها.

تزدرد ريقها، وتصمت، خائفة أن تنبس بأي كلمة يمكن
أن تفضح سرها.

تدلف والدتها إليهم وتجيب في جد:

-والله و عندك دم وبتعيطي.

تكفكف دموعها وتردف في مشاكسة:

-أهو أنا موافقة وهمشي عشانك أنت.

تعقد والدتها حاجبها في عجب:

-أيوه طبعا أنا المكروهة وأنت حبيبة أبوك.

* **

في مثل هذا الوقت في سرايا فاخرة على جدرانها
اللوحات الزيتية الرائعة، تشرف على المكان من علو.
الثريات المتدلّية من سقفها المرتفع. أبواب شرفاتها
العالية. طاولات متوزعة في أركانها، على كل طاولة
منهن تحفة فنية و خزافية. كل شيء مثالي ومناسب
جدًا. حياة جميلة ومثالية ماذا يطلب أي شخص أكثر من
ذلك؟

شاب بهي الطلة ينزل من فوق سلم السرايا في عجل
مهدم ذاته ويرتدي ثياب منمقة. يقابله والده ويعترض
طريقه ويسأل بسخرية:

-على فين العزم يا ساعت البيه؟

يجيب في شيء من الهدوء:

-أنت بتتريق يا بابا؟

يردف والده في سخرية:

-لا مش بتريق ولا حاجة، هو أنا أقدر؟

يحاول أن يكون لطيفًا فقط لأجل غايته التي بيتغيها:

-كنت لسه هجيك عشان تخطبلي.

والده مستغربًا:

-أخطباك مين؟

يجيب في هدوء:

-سارة يا بابا ولا نسيت؟ أنا كلمتك عليها كثير قبل كدا.

يواجهه والده في جدية:

-لا منستش بس يظهر أنك نسيت، أنك متجوز من أصله.

يجيب بسخرية:

-متجوز أي بس يا بابا أنت بتهزر؟

ينظر له بإصرار:

-لا مش بهزر، وألزم حدودك يا ولد وبكرا هنخطبها.
يسأل مستغرباً:

-قصدك مين؟

والده في جدية وحزم:

-البنت اللي أتجوزتها عرفني.

ينفعل ويتناول محفظته ويخرج منها العقد السخيف
ويمزقه قطعاً متناثرة صغيرة:

- خذ العقد أهو، كدا أنا مش متجوز صح، والعموم
الحكاية كلها كانت لعبة، والبنت أساساً لا تعرفني ولا
أعرفها، حتى أنها مشفتنيش غير مرة واحدة بس.
والده في انفعال:

-أنا أديت كلمة لأهلها خلاص، جهز نفسك بكرا ودا
آخر كلام عندي وما يخصنيش شغل العيال دا، ولما أنت
متعرفهاش بتأذيها ليه؟
يجيب منفعلاً وغازباً:

-أنا بحب سارة ومش هتجوز غيرها، فاهمني مش
هتجوز غيرها، وأنا قولتلك كانت لعبة سخيفة وخلصت.
يلطمه على وجهه لكمة قوية أفقدته توازنه ويردف
والده غازباً ومشتعلاً:

-أنتَ ازاي كنت هتجوز واحدة لمستها قبل ما تتجوزها،
وأي اللي خلاك متأكد أنك أول واحد في حياتها، وفوق
دا كله مجنونة وكانت في مستشفى المجانين، ازاي
هتربي أولادك دي بعدين، دي ممكن تقتلك وتقتلهم، وأنا
أحفادي لازم أختارلهم حد ينفع يكون أم وشخص
مسئول مش كفاية أنتَ فاشل وفساد.

يضع يده على أذنه، منفعلًا:

- بس كفاية، أنا بحبها ودا المهم وعمري ما هحب
غيرها، ولو أتجوزت اللي أنتَ عاوزاها دي، مش
هتشوف يوم حلو معايا، فياريت تعتذر عن الجواز دي
أحسن.

ثم يردف:

-يا بابا سارة مش مجنونة، هي بس حالتها النفسية مش
كويسة، وأيوه أنا أول واحد في حياتها ، وثقت فيا وأنا
مش هتخلي عنها ومش هسيبها.

والده متوعدًا:

-فاكر أنتَ كدا بتهددني، أنتَ أصلًا أتجوزتها رسمي
وبعقد معايا ومفيش تراجع، انتهى الكلام، والأفضل أنك
تبعد عن سارة دي، بدل ما هتصحي في يوم مش
هتلاقيا، خليك ولد مؤدب وأسمع الكلام.

* **

تركه و غادر بهدوء.

وأما هو أضحى منفعل، يحطم في الأغراض الثمينة التي بداخل السرايا وقطع الزجاج تخترق يداها وينزف بشدة ولكنه غير مبالي، هو فقط لا يرى من غضبه وعيناه المحققتة بالدماء:

- ماشي يا بابا أنت اللي جابته لنفسك، وأنت ياللي معرفش اسمك أي هتشوفي أيام سودة على دماغك.

* **

في مكان آخر في وقت ما من اليوم، وبالتحديد في آخره. فتى ممسك بيد فتاة و واضعاً عصابة على عينيها وأخبرها أن تبقى مغمضة العينين إلى أن ينزع العصابة في الوقت المناسب.

تحاول أن تنزع العصابة بيدها الأخرى وتجيب في نفور:

-نادر ممكن أفتح، عيني وجعتني بجد.

يخبرها بهدوء وتأن:

-استني بس لسه هانت وهوصل أهو.

وبينما هي تسير انزلت قدمها وكانت ستتكب على وجهها، ولكنه أنقذها في اللحظة الأخيرة وتشبث بها:

-شوفت اديني كنت هقع!

يجيب مبتسمًا:

-مانا مسكتك أهو!

تسأل في تتأفف:

-أوف وصلنا ولا لسه؟ أنا زهقت يا عم بخ.

ينزع العصابة من على عينيها ويخبرها بحب:

-فتحي واحدة، واحدة.

تقفز فرحًا كطفل في السادسة:

-الله بحر.

يتحدث مردفًا بسرور:

-عشان مبقاش حرمتك من حاجة.

تنظر له باستغراب وترفع حاجبيها:

-ولحظة الغروب كمان.

تسحبه من يده وتردف له بحبور:

-تعال نقعد هنا شوية، البحر جميل وهادئ ، تعرف

البحر دا مليون حكايات لناس كانوا هنا من زمان، وناس

عدت من جنبه بالصدفة، البحر مليون أسرار، البحر
جواه حكاوي لو تكتبت في الكتب مش هتكفي برضو.

تجلس بعيدًا عنه بمسافة مناسبة وبينما هي تتحدث عن
البحر يهمس بصوت يكاد أن يكون مسموعًا:
لم أكن أعلم أنني سأحبك ولكنك أصبتني، وقل لن يصيبنا
إلا ما كتب الله لنا، وكما قال قيس ابن الملوح لليلى
العامرية

رجل وما استسلمتُ قبْلُ لفارسٍ

مالي أمام عيونها مستسلمٌ

أعود منتصرا بكل معاركي

وأمام عينيها البريئة أهرمُ

أنا شاعرٌ ما أسعفته حروفه الحبُّ من لغة المشاعر

أعظمُ لي ألف بيتٍ بالفصيح أجدها لكنني في حبها
أتلعثمُ"

وأنا في حبك أتلعثم وأمام عيونك البريئة أقتل يا ندى
وأفني وربما يأكلني الشوق أكلاً وإذا كان هناك أشد من
الخسارة سأقبلها بكل سرور يا قطرة الندى وشذى
قلبي.

كانت مشتتة، فهي تتحدث عن البحر، وهو يتحدث عنها، شعرت أنه يتحدث معها ربما لذلك سألت في خجل:

-كنت بتقول حاجة يا نادر؟

يجيب كاذبًا:

-لا مكنش بقول حاجة، كنت بسالك مبسوطه؟

تجيبه بفرحة طفولية:

-أيوه مبسوطه وجدًا كمان، أنا كنت فاكر ك رخم وبس.

يعقد حاجبها متعجبًا:

-ودلوقت طلعت إيه؟

تضربه على كتفه:

-و غلس و سوسة.

ينظر لها بهيام:

- يسلام يا كوتش، يعني مفيش حاجة ثاني؟

تهرب ابتسامة من ثغرها:

-لا مفيش.

ينظر لها ضاحكًا:

-بوظتي اللحظة، طيب كنت قولتي أنه في حاجة.

تجيب مستغربة:

-حاجة إيه؟

يخبرها ممازحًا:

-لا أنا اللي كنت هسالك كدا، نعيد من الأول تاني.

تقطب جبينها في استهجان:

-بطل رخامة، هتيجي خطوبة جنة بكرة؟

يسأل سؤالًا غيبًا:

-أنتِ هتروحي يعني؟

تنظر له على إنه لا يفقه:

-هروح طبعًا، صحبتي ولازم أكون جانبها.

يخبرها باستفزاز:

-وأنا مش هروح.

تنهض من جواره وتسير مغادرة وتلفتت له:

-لا هتيجي.

يهتف بصوت عالٍ:

-هفكر وابقى ارك عليك.

تخبره بثقة وإصرار:

-سلام هتاخر دلوقت، وهتيجي بکرا، أنا عارفة.

* **

في ذات السرايا.

بعد أن هدا تحدث مع حبيته لتأتي له مسرعةً، بسبب
صوته الباكي. كم تتلذذ بمعاناته، أتت مسرعة فحسب
لتشاهد تحطمه وانكساره أمام عينيها.

تركض مسرعةً وهي ترى يداه النازفة والمليئة بقطع
الزجاج المتناثرة، لقد رق قلبها له، لقد شعرت أنه يحبها
بصدق ولكنها لا تستطيع أن تفرط فيما جاءت من أجله:
-في أي طارق مالك؟ أيدك بتنزف أستني هجيب علبة
الاسعافات وأحاول أشيل الازاز دا.

تحضر علبة الإسعافات الأولية وتنتزع شظايا الزجاج
في إشفاق.

ينظر لها بضعف وانكسار:

-سيبك من الازاز دا وبصي في عيوني، هتفضلي
تحبيني كثير زي ما أنا بحبك كدا؟
تنظر له بإشفاق، وحزن أيضاً:

-أيوه طبعًا هفضل أحبك، حتى بعد ما نتجوز وتبقى
عصبي ومترفز وكل حاجة تقولي عليها لا.
مطأطأ الرأس منكسرًا:

-أنا هخطب بكرة.

ترمي علبة الإسعافات من يدها، وتتنظر له في صدمة:
-إيه!

يجيب مثقلًا:

-زي ما بقولك كدا، للأسف.

ترقرقت الدموع في عينيها، بالرغم من أنها لا تحبه إلا
أنها تشفق عليه بالرغم ما فعله سابقًا:

-طيب وأنا يا طارق هتتخلي عني بسهولة كدا دا أنا
حبيبتك، أنت كل حياتي، أزاي عاوزني أفهم أنك خلاص
هتسبني؟

لا يهتم بألمه أو جروحه ما يهمه هو بكائها، يجذبها إلى
أضلاعه لتلّوج بداخله محاولًا أن يجعلها تهدأ:

-ممكّن تهدي طيب، دموعك غالية عليا، مقدرش أشوفك
بتعيطي ولا دمعة تهرب بس منك.

ولكنها تنهار منفعلة وتضربه غير واعية:

- أفهم إيه بس؟ أفهم أنك خلاص سبتني ولا أفهم إيه بالضبط؟

يرفع وجهها بيده ويخبرها أن تنظر في وجهه.
تفتح عيونها الممتلئة بالدمع وتنظر إلى عينيه في استعطاف. يخبرها بحنوٍ أن تكفكف دموعها وتفعل ذلك.
ثم يردف بحبّ:

- عاوزاك تفهمي أنك أنتِ حبيبتي وأنتِ الوحيدة اللي جواه قلبي.
بصوت باكٍ:

- طيب واللي هتتجوزها دي؟
يردف مطمئنً لها:

- هيبقي جوازنا على الورق بس، وبعد سنة هتطلقها زي ما محمد بيه عاوز، ونرجع لبعض وهكون معاكِ أنتِ على طول، أنتِ اللي هتكوني أم أولادي ومش هقبل بحد غيرك.

تخبره بإشفاق يظنه حبًا:

- طيب ممكن تخليني أضمد جروح أيدك دلوقت، الجرح هيتلوث.

يخبرها بألم مشيرًا إلى قلبه:

-طب وجرح قلبي يا سارة هيتعالج أزاى؟

لم تستطع أن تتحدث أو تنبس بحرف واحد، ظلّت تعالج جروحها في صمت يجعل الأمر غريبًا.

تعالج جروحها ذلك الذي تسبب في جروحها، لن تسامحه ولكنها ستشفق عليه. فلا أحد مهما كان ذنبه، يحق لنا أن نتركه يعاني. لقد وقع بالفعل في غرامها، ولكنه غرام سام للغاية. كانت تريد قتله لم يفلح الأمر، فقررت العبث بقلبه. كانت تعلم جيدًا أن ندى ستساعد صديقتها، ولكن لم يؤلمها قلبها الآن؟ أليس هذا ما أرادته من البداية؟

* **

في اليوم التالي معاد الخطبة في منزل جنة.

يجلس طارق مطرق الرأس، منقبض الوجه يبدو عليه الوحشة والنفور، بجواره والدته، و والده يتحدث مع والد الفتاة ليطلبوا يدها بشكل رسمي.

أجواء مبهجة ولكن النفوس منطفئة وقاتمة، الحزن يعترئهم ويطغى عليهم.

محمد بيه يتحدثًا بهيبة:

-أنا يشرفني جدًا أني أطلب أيدك بنتك الأنسة جنة لابني طارق.

ارتسم على وجهه الرضا:

-وأحنا موافقين.

بالتأكيد لن يجد بر أمان مثل هؤلاء، سيضع قدم فتاته في عيشة هانئة للأبد ربما. سينتشلها من حياة الطبقة البرجوازية إلى حياة الطبقة الأرستقراطية بكل سهولة.

لاحت على وجه والده ابتسامه هادئة:

-على بركة الله بالسهولة دي؟

يخبره في رصانة:

-مش هنلاقي أحسن منكم لبنتنا، لينا الشرف أنكم تنسبوننا.

ثم يردف مازحًا:

-كلام في سرك محدش طايقها أصلاً.

يتحدث سريعًا في متطلباتهم لأنهم أتفقوا على الخطبة وأيضًا ستتم مراسم الزفاف بأي حال من الأحوال.

يسأل والده في هدوء:

- و أنتوا إيه طلباتكم و عاوزين كام مؤخر و كام مقدم؟

يجيب في حبور، الأمور تسير بشكل سريع بالنسبة له،
لم يتوقع الدخول في هذه التفاصيل، فهم إلى الآن لم
يخطبا:

-ثلاثين ألف جنيه مؤخر، إذا حصل زعل ما بين
الطرفين، والمقدم مش عاوزين حاجة أحنا برضو
بنشتري راجل.

ويرمق طارق بنظرة ودودة:

-ولا إيه يا بني؟

ينظر له ويبتسم ابتسامة صفراء:

-معاك حق يا عمي.

يردف والده برصانة:

-أنا شايف المبلغ قليل جدًا، المؤخر هيبقي 15 مليون،
والمقدم خمسمئة ألف جنيه.

ينظر والدها مستغربًا:

-بس دا كثير جدًا.

يحاول والده أن يجعل الأمر طبيعيًا:

-مفيش حاجة تغلى على بنتنا.

والدها غير مطمئن:

-اللي تشوفه .

أخيرًا تنطق والدته في لهفة:

-فين عروستنا نفسي أشوفها؟

لأن عزيزها وفلذة كبدها أخبرها أن الفتاة قبيحة، وجهها أسود، وعيناها حمراء، وأنفها يشبه حبة البطاطس الضخمة، ووجهها مثل جمجمة شخص مريض بالسل، ولديها ساق واحدة، ولديها ندبة كبيرة على وجهها. حسنًا، لم يكذب في شيء واحد، وهو أنها بالفعل منحوتة الوجه كمن لديه أنيميا حادة، ولكنها تمتلك ملامح طفولية، ونقية كذلك. لقد وصفها بهذا الشكل لأن الغيظ والحدق يتملك قلبه في هذه اللحظة، فهو لا يريد حتى ولو كانت ملكة جمال أو حورية من حوريات الجنة. البغض يتملكه بسبب ما فعلته، يظن أن لولاها لا نال حبيبته.

يستعجلها والدها لتأتي لتراها والدة الشاب:

-يلا يا جنة هاتي الشربات.

في غرفتها مع صديقتها التي تحاول أن تزينها وتضع لها مساحيق تجميل هادئة، فقط لتبرز ملامحها وتظهر جمالها. ولكنها لا تتوقف عن البكاء وإفساد ما تضعه لها، لقد أصبح وجهها مثل المهرجين الذين يعملون في

السيرك من كثرة نحيبها. وكأنها ستساق إلى مقصلة
الإعدام، وليس زواجًا على سنة الله ورسوله.

تبكي بقهرٍ وتخبرها في إصرارٍ:

-أنا مش هطلع، ومش هروح، ومش هتخطبله.

تخبرها صديقتها بهدوءٍ وحكمة:

-طيب ينفع كدا الميك هيبوظ، استهدي بالله كدا
والراجل دخل البيت من بابه، وأبوه نفذ وعده أهو
وبيحاول يخلي الوضع طبيعي.

تردف باكيةً:

-أنتِ مش حاسة بإحساسي والله، أنا بموت يا ندى، أنا
مكنش دا هو الشخص اللي في خيالي، ومغصوبة على
أمري، يا رب أموت قبل الفرح عشان أرتاح منه.

ندى وعلى وجهها بات الحزن حاضرًا:

- بعد الشر عليكِ متقوليش كدا ازعل والله...

وقبل أن تكمل صديقتها تدلف إليهما والدتها وتجدها
تبكي كما لو أن أحدًا توفي.

تسأل والدتها في قلق:

-بتعيطي ليه دلوقت؟

تتدارك الموقف صديقتها سريعًا وتجيب:

-دي دموع الفرح يا طنط.

توما برأسها بالتصديق على كلام صديقتها، بالطبع لن تفسد الأمور، ولن تكشف ذاتها.

تعطيها والدتها أكواب العصير، لتقدمها إلى الضيوف.
تأخذها منها وتسير في استحياء مطرقة بوجهها إلى الأرض، وعندما رأتها والدته وقفت من مكانها ونظرت إليها بود:

-جنة وأنتِ جنة فعلاً.

تلكز ولدها وتهمس له في حلق:

-يا كداب دي وحشة دي، دي ملاك نزلة من السماء.

تخجل ويحمر وجهها ويصبح مثل حبات الطماطم الناضجة وكادت أن تهرب مسرعة، إلا أن أشارت لها والدته أن تجلس بجوارها:

-تعالى اقعدى جانبى.

تشير لصغيرها أن ينهض من جوارها:

- قوم فز من جانبى، بقا حد يبقى عنده القمر دا وميقعدش جانبه.

* **

حضر نادر وحازم و معهم خواتم الخطبة التي أختارها
مسبقًا والد الفتى المدلل، ففي النهاية كل شيء معد مسبقًا
وما يحدث هو مجرد إشهار فقط ليس إلا، كانت خطبة
محدودة حضر الأصدقاء والأهل فقط.

نادر يذهب إلى جوار ندى ويخبرها بحب:

-أهو جيت يا ستنا.

تضربه على كتفه، تعقد حاجبيها وتسأله في حنق:

-أتأخرت ليه؟

يخبرها مستفزًا:

-مكنتش جاي أصلًا.

تخبره في ثقة:

-مكنتش هتقدر متجيش أصلًا.

يقطع حوارهم اللطيف حازم ويخبره ممازحًا:

-هات الدبل يا عم نادر العرسان انتخللوا وأنت قاعدلي
بتسبل.

ندى تنتظر لحازم وتسأله مقطبة حاجبيها في استهجان:

-قصدك إيه يعني؟

يخبرها بلامبالاة:

-بصراحة الواد دا...

وقبل أن يكمل حديثه يبغته نادر واضعًا يده على فمه
مغلقًا إياه:

-الواد دا عليه حاجات مش كدا يا زيزو.

يردف حازم ممازحًا:

-طيب خلاص هات الدبل وخلصنا، هستر عليك.

* **

تجلس بجواره وهي مختنقة وتشعر أن الأرض تضيق
بها.

يريد أن يمسك يدها لأجل أن يضع خاتم الخطبة في
أصبعها ولكنها ترفض وتزيح يده برفض.

يهمس لها بهدوء:

-هاتي أيدك وبلاش فضايح.

تجيب رافضة:

- لا، أنا هلبسها لوحدي.

يحدّجها والده بنظرة أمر:

- إيه الحكاية، أديه ايدك يا جنة.

تمد يدها بقرف وتهمس له:

-أنا قرفانة منك ومش متخيلة أنني أتجوز واحد زيك.

يضع خاتم الخطبة بيدها هامسًا في ضيق:

-يعني أنا اللي هموت عليك قوي.

* **

نادر يهمس لندي التي بجواره:

-عقبالنا.

تسأل في بلاهة:

-بتقول حاجة؟

يخبرها:

-بقولك تاخدي جاتوه؟

تخبره بجدية:

-هات تصدق جعانة.

حدق إليها مازحًا:

-مفجوعة.

تزم شفيتها وتجيب في استعلاء:

-مش أكثر منك.

والد طارق يقطع دوشتهم وشغبهم، مشيرًا إلى نادر:

-ما تغني يا نادر.

يجيب متملصًا:

-أنا، لا مبعرفش.

يتدخل حازم منقذًا للموقف، بالرغم أنه يمتلك صوتًا
كالمقشة:

-أنا ممكن أغني عادي.

نادر ممازحًا:

-سدوا ودانكم حازم هيغني.

حازم مغنيًا بصوت أشبه بتحضير الأشباح والشعوذة:

-وافرحي يا عروسة أنا العريس يا عروسة يا عروسة
أنا العريس، أنا جيت من الباب.

نادر وقد أصابه الصرع من صوته وأخبره ممازحًا:

-برضو اللي بيغني الاغنية قال أنا جيت من الباب
برضو، بس كفاية تلوث سمعي أنا هغني.

ناظرًا إلى ندى في حبٍ ومن ثم ينشد مغنيًا:

"في قلبي مكان مكانش بيوصل له إنسان لأنه أمان

مكانش بيدي حد أمان فتحته أنا ليك

دخلته إنت وقفلت عليك بقى ملكك ولا قبلك ولا بعديك

خليني معاك ده أنا راحة قلبي معاك
هو اللي يحس هواك في إيه بعده يكفيه؟"

الفصل السادس عشر (رجل نبيل)

...تقريبًا لم يتحدثا سويًا، مرت ثلاث أسابيع وها قد بدأ أول امتحان للفصل الدراسي الثاني للسنة الأخيرة. أقتربت اللحظة المنتظرة وهي لحظة التخرج التي يتمناها أي طالب في سنواته الدراسية، لأنه بعدها سيدلف إلى سوق العمل وسيعرف أن الهراء الذي تعلمه لن يفيده في شيء. سوق العمل مختلف تمامًا عما تعلمته يا عزيزي، أهبط إلى أرض الواقع وتعلم بشكل عملي ربما يفيدك فيما بعد.

* **

فتى مدلل يهبط على درجات السلم، رنين الهاتف النقال، يتجاهله دون النظر إلى من يطلبه. ينزعج من الهاتف وكثرة الرنين والإزعاج المستمر، يتناوله ويرى من المزعج، ويجد من يهاتفه والده. يجيب في هدوء، بالرغم من أنه يشعر بالغيظ والغضب: -عاوز إيه؟
والده بحزم:

-عاوزاك توصل خطيبتك الكلية معاك.

يحدث ذاته:

-إيه الحظ دا مش عاوز اوصل حد أنا؟

مجيئاً في طاعة:

-حاضر.

* **

في الصباح والشمس تتوهج بأشعتها الذهبية. النسيم العليل يملأ الأجواء. فتاة أمام منزلها الفخم والمحيط بأسواره الأشجار المزهرة تنتظر على حافة الطريق الحافلة وإذ هي واقفة يأتي شخصان ويضيقان الحنق عليها، ويحاولان التعرض لها.

يتحدثان في بلاهة وممازحة:

-إيه القمر اللي بيطلع بالنهار دا؟

تعقد حاجبيها وتجيب في تأفف:

-والنجوم بتتطلع بالنهار برضو يا خفة.

..وبينما كانت ستستعد لضربهم، جاء فتى مثل أبطال السينما القديمة، يبدو شبيهاً بعمر والشريف عندما كان شاباً، راکضاً من بعيد دالفاً إليهم.

يتدخل لاهتًا محاولًا التقاط أنفاسه:

-في إيه منك له؟ عاوزين إيه؟

قام أحد منهما بالاستخفاف به وأزاحته براحة يده في
عنف:

-مالكش فيه، هي تخصك.

يجيب مازحًا مكرّرًا جملة هذا الرجل:

-مالكش فيه، هي تخصك.

تتركهم الفتاة مبتعدة عنهم، تتابع ما يحدث في صمت.
أتجه هذان الشخصان ناحية الفتى ودافعا دفعة أطاحت
به، وأخبراه أن يترك الفتاة لهم، وسألاه في سخرية إن
كانت الفتاة تلزمه. ثار غضبًا ورفض الغبار عنه
منفعلًا، ودون أن يدري هشم أنف أحدهما وأخبره في
ثورة غضبه أنها تلزمه وتخصه ولن يستطيع أحد أن
يؤذيها ما دام حيًا. كانت الفتاة تعثرها الصدمة في هذا
الوقت، كانت بأي حال ستباغتهما وتخبرهما أن يطرقا
النظر إلى أعلى ومن ثم ستضرب أعناقهم ضربة تفقدهم
الوعي وسينتهي الأمر أو كانت ستصرخ عاليًا
وسيتجمهر الناس من حولها ويضربون هذان الرجلان،
هكذا بكل بساطة. هرب الرجلان بعد تجمهر عدد من
الناس حول الفتى، بعد أن ضرباه بنصل حاد بجوار

كتفه في محاولة لتملص منه والهرب. ذهبت إليه الفتاة
ومدت يدها لتساعده على النهوض وفي ذات الوقت
ضربته على أكتافه وأخبرته أنه رجل نبيل ويعتمد عليه
حقًا.

تأتي الحافلة أخيرًا يستقلانها معًا، الفتاة غنية وبالرغم
من ذلك تستقل الحافلة، أليس هذا غريبًا بعض الشيء؟

* **

فتاة تنتظر حافلة الجامعة على قارعة الطريق لتذهب
إلى امتحان اليوم، يأتي شخص ويقف بسيارته الفارهة
وينزل زجاج السيارة متحدثًا بلا مبالاة كأنما يقضي
واجبًا:

-تعالى اركبى يلا هوصلك.

تتنظر له نظرات رفض وضيق:

-لا مش هركب معاك.

قال بصوت جامد يخلو من المشاعر:

-متخلنيش اتعصب عليك، واخليك تركبى بالغصب.

تخبره بعناد يستفزه:

-متقدرش وقولتك مش عاوزة اركب معاك هو بالعافية

ولا إيه؟

ينفعل عليها ويخبرها في مضض:

-وطي صوتك وتعالى اركبي بقولك.

بذات العناد وتركته وذهبت بعيداً:

-لا مش هركب ها وأعمل اللي يريحك!

فتح باب سيارته. دلف منها. سار خلفها في هدوء
وأمسكها من يدها في خشونة وشدة، يجرها خلفه كما
يجر حيوانه الأليف، تحاول أن تترجاه في استعطاف أن
يتركها ويترك يدها لقد ألمها بشدة.

ولكنه لا ينصت لها، يرميها على الكرسي الأمامي كما
يرمي حقيبة بالية.

ثم يردف منفعلًا:

-اقعدي بقا وبطلي زن، مش هاكلك . أنتِ خطيبي
وعشان محمد بيه اللي روحتيه ودبستيني فيك أمر بكدا.

أنا مكنتش هأذيك، أنا كنت بخوفك، بس طلعتي مش
بتخافي أهو، نستحمل بعض لحد ما نغور من وش
بعض.

تتكور الدموع في مقلتيها وتفضل الصمت عن الحديث.
يردف مجددًا ولكن هذه المرة ملاء الغيظ من صمتها:

-ما تردي ولا واكله سد الحنك؟

تخبره في صوت مكتوم:

-لو سمحت متكلمنيش لغاية ما نوصل.

التفتت بوجهها إلى الناحية الأخرى لتكفكف دموعها قبل أن يراها ويشعر أنه انتصر وهزّ كيائها، بالفعل انتصر ولكنها لن تجعله يدرك فرحة انتصاره.

على قصر الطريق ومسافته ظلّ صامتتين، لم يقطع صمتهما إلا رنين الهاتف النقال يحدث ذاته:

-إيه عاوزة يا سارة دلوقت؟

يتناول هاتفه و يجب في محاولة لاستفزاز الجالسة بجواره، ولكنها لا تهتم به من الأساس، وكأنه طيف غير مرئي.

-أيوه يا قلبي. عاملة إيه؟

الطرف الآخر من المكالمة:

-هي معاك ولا إيه؟

يسأل بحب :

-اوصلك يا حبي للامتحان؟

تجيب بحنق :

-لا روحت لوحدي

يسأل مستغربًا :

-في إيه يا سارة مالك؟

تجيب بتأفف:

-مفيش، قولتلك.

يخبرها منفعلاً :

-عارفة لو متكلمتيش هعمل حادثة دلوقت وأنتِ عارفني
مجنون.

حاولت ألا تتتابها النوبة الهستيرية، تتمني أن يتعفن في
الجحيم ولكنها لن تخبره بذلك. ذلك الشاب المدلل وتلك
الساقطة التي كانت معه في تلك الليلة المشؤومة التي
حطمت حياتها إلى الأبد ربما.

لذلك تخبره في قلق مصطنع:

-لا يا حبيبي مقدرش استغني عنك .

يسألها مجددًا:

- قوليلي في أي طيب.

تجيب في دلال يفتن القلب:

- زعلانة عشان أنت بعيد عني .

يسألها في لهفة :

-النهاردة أنتِ فاضية؟

تسأل في حيرة:

-ليه؟

يجيب بحبٍ :

-عازمك على العشاء وهعملك مفاجأة.

تحاول ألا تظهر امتعاضها وتجيب في ذات الدلال:

-حاضر.

يغلق الهاتف مع من كان يحادثها ولا يتحدث مع منّ
تجلس بجواره ولا هي أيضًا. وعندما وصلا أمام باب
الجامعة، أخبرته في نبرة أمر:

- نزلني هنا، مش هدخل معاك جوه أنا.

يجيب ببرود أعصاب:

-لا مش هتنزلي.

تفتح الفتاة الباب وقبل أن تدلف خارجًا يمسك يدها
قابضًا عليها قبضًا، قائلاً في انفعال:

-مش من حقك تنزلي.

تنترع يدها في حركة مباغته:

-و أنت مش من حقك تمسك أيدي بالطريقة دي؟

يهذا قليلاً، ويحاول اخراسها:

- أنتِ خطيبي ومراتي كمان ويحق ليا أكثر من كدا
كمان.

لقد أخرسها، فهي لم تنبس بحرف. فقط غادرت قبل أن
يتحدث بأي كلمة أخرى.

ودلفت إلى الكلية سيرًا على الأقدام، وبينما هي تسير
تلمح نادر وندى يجلسان معًا ويبدو أن نادر خاض
شجارًا عنيفًا فقميصه ملطخ بالدماء و وجهه به بعض
الكدمات. وندى ممسكة بعلبة الإسعافات الأولية وتحاول
أن تضمد جروحه أو تفتعل جروح جديدة.
نادر متألماً:

-براحة يا ندى حرام عليك، أنتِ بتعالجي الجروح ولا
بتزوديهما؟

ترفع حاجبيها وتجيب باستخفاف بألمه:

-أعملك أي أنتَ اللي خواف ومبتحبش المعقم، قولتلك
لازم أعقم الجرح.

نادر ممسكًا ذراعه:

-طب والله أنتِ ما حاسة بإحساسي.

تعقد حاجبيها وتسأله بصوت الشامت:

-تستأهل، حد قالك اتخانق معاهم؟

يردف بجدية:

-يسلام، واسيبك لوحدك يعني؟

تخبره بثقة وابتسامة بلهاء هربت بالرغم منها:

-أنا كنت هكسر ايديهم ورقبتهم وكانوا هيمشوا، مكنتش
هدغدغ زيك كدا؟

يسأل ممازحًا:

أنا غلطان يعني، و ظلما راجل كدا مساعدتنيش ليه؟

ترفع حاجبيها، وتجيب عليه بسؤال مباحث:

مش المفروض أنت راجل برضو؟

تسير نحوهم مستغربة وتنادى على صديقتها في حبور:

-نودي حبيبتى .

ندى تتفاجأ كما لو أن عقربًا قامت بلسعها وتترك نادر،

لترى صديقتها ومن شدة توترها ألقت عليه علبة

الإسعافات، وزجاجة المعقم كانت ما تزال مفتوحة،

وربما أغرقت ثيابه بدون قصد.

لتركض إلى صديقتها هاتفًا:

-جيجي قلبي.

نادر متذمرًا:

-يخر بيتك بهدلتيني حرام عليك.

جنة تسأله باستغراب:

-إيه اللي دغدغك كدا؟

تنظر ندى بدهشة واضعة يدها على وجهها تتحاشي

النظر إليه بعد ما فعلته به:

-اووه أسفة يا نادر.

يجيب على سؤالها ممازحًا:

-اللي دغدغني الزمن يا جنة، واخذ بالك يا زمن.

جنة وترمق نادر نظرة خاطفة ومن ثم توجه نظرها إلى

ندى:

-طيب الف سلامة عليك يا نادر، يلا ندخل لجنتنا

هتبتدئي وهنتاخر.

ندى في سرور:

-يلا يا قلبي.

نادر محدثًا ذاته:

-هي قلبك، وأنا فردة كوتش. وكما قال الشاعر:

'يا مُولَعًا بِالْغَضَبِ وَالْهَجْرِ وَالْتَّجْبُّبِ

حُبُّكَ قَدْ بَرَّحَ بِي فِي جِدِّهِ وَاللَّعِبِ
إِنَّ دُمُوعِي غَمْرٌ وَلَيْسَ عِنْدِ غَمْرٍ
فَقُلْتُ يَا ذَا الْغَمْرِ أَقْصِرْ عَنِ التَّعْتَبِ
بِالْفَتْحِ مَاءً كَثْرًا وَالْكَسْرِ حِقْدًا سُتْرًا
وَالضَّمِّ شَخْصٌ مَا دَرَى شَيْئًا وَلَمْ يُجَرِّبْ"

* **

فتي يجلس بجوار فتاة في السيارة الخاصة به، ممسكاً
بيدها بهيام، في أجواء شاعرية خلابة.

تنتزع الفتاة يدها في جزع:

-إيه المفاجأة بقا؟

يتناول يدها طابعاً عليها قبلة رقيقة:

-هتعر في بعدين يا قلبي.

تسأل في رقة ودلال:

-هتجيبلي العربية اللي قولتلك عليها يا بيبي؟

محدثاً ذاته في سخرية:

-عربية يا نهار اسود دا أنا محروم من كل حاجة وهي

تقولي عربية، هي داخله على طمع ليه؟

يخبرها في هيام:

-أحلى من كذا بكثير.

حاول أن يطبع قبلة على ثغرها ولكنها تملصت منه هاربة:

-طيب هعرفها بالليل، يلا بينا ندخل اللجنة بتاعتنا.

* **

بداخل قاعة الامتحان يبدو الأمر جنونياً وعبثياً بالكامل، هناك توتر في الأجواء، الأنفاس يمكنك سماعها، وإذا رميت إبرة لربما ستصدر طنيناً مزعجاً وحاداً.

كل منهم يكتب كما يفقهه، منهم من كان عبثياً ومنهم من كان مجتهداً بحق.

ندى تناولت الورقة ونظرت في بلاهة وشرعت في الحل، لا يهم إن كان ما تكتبه صحيح أم لا. المهم أنها تكتب أي شيء حتى وإن كان عبث ولا علاقة له بالمنهج الذي تدرسه، فقط تكتب هرطقات فارغة.

جنة تكتب بطريقة منظمة ومنسقة وأيضاً اجابات مختصرة وصحيح. تكتب ما تعرفه والذي لا تعرفه تتركه فلن تفتي بدون علم في النهاية.

نادر يكتب بتأني وهدوء وصبر اجابات نموذجية تمامًا
كما قال الكتاب " دحيح الدفعة " يهودي من يهود بني
خبير.

حازم وأكاد أجزم أن أغلبنا، إن لم نكن جميعنا مثله
تقريبًا، يجلس مفكرًا فيما ستعده والدته وأخواته من
طعام عندما يعود، يكتب قليلًا ويمحو ما كتبه، يكتبه من
جديد. يغفو قليلًا، ويأتي المراقب لينهره على سلوكه،
ويخبره أن الوقت يمضي.

طارق ذلك المدلل يقلب الورق بلا مبالاة. فقط يكتب
اسمه، وهذا بالذات فخامة الاسم تكفي، لا تقلقوا عليه
صديقه سيعطيه بعض الأسئلة ليضمن النجاح بعد أن
ينتهي.

سارة تستخدم جمالها ورقتها لتتال الاجابات من أحد
الطلاب بجوارها، فهي بالفعل فتاة جذابة وجميلة بحق،
مثل الحواريات وربما أجمل. تلك التي تمشي بدون أن
تثني للعشب عودًا، عندما تسير بجانب البراعم تتفتح
ورودًا، سبحان من صورها.

* **

المراقبين في داخل اللجنة يوترون الأجواء بالضغط
النفسي الذي يمارسونه، كأن يخبرونك:

- نصف الوقت مضى الذي يريد أن يسلم ورقته
فليتفضل، الامتحان سهل ولا يستدعي كل هذا الوقت،
عندما كنت بمثل أعماركم لم يأخذ معي أي امتحان
سوى نصف ساعة، أنا أرك أنت الذي تغش ولكني
سأتركك بمزاجي.

* **

بعد ثلاث ساعات

يتحدث المراقبين في صوت واحد جهوري:
-الوقت خلص خلاص هنسحب الورق ومحدث يكتب
حاجة تاني.

* **

ينتهي الامتحان ومنهم من يذهب إلى بيته ولكن عصابة
التنين تدلف إلى الكافتيريا ليثرثروا قليلاً.
جنة ضاحكة مقلبه كفّ بكف:
-حازم أنت كنت بتنام كل شوية، والمراقب يصحيك زي
كل سنة مش هتتغير.
يجيب متئاب:

مش بنام أيام الامتحان وأنت عارفة كدا كويس.

تردف ندى بممازحة:

-أنتَ أصلاً دب الكسلان، وبتحب النوم أصلاً.

يحاول أن يدافع عن ذاته متذمراً:

-يسلام، لا مش صح.

تجيب بمشاكسة وتغمز بعينها:

-يسلام فإكر لما كلمتني ها اسيح واقول!

حازم برجاء:

-أنتِ إيه فضيحة، خلاص اسكتي.

نادر ويبدو على وجهه الامتعاض والبغض بالرغم من

محاولاته في أن يظهر بشكل عادي:

-وايه كمان تعرفيه يا ندى؟

ندى تعقد حاجبيها في استهجان:

-مالك يا نادر أحنا بنهزر؟

يحاول أن تبدو على وجهه ضحكة طبيعية ولكنها تبدو

صفراء على مرآهم والغيرة تعتلج قلبه وتضطرم النار

بداخله اضطراراً:

-هزار رخم.

تحاول أن تتلاشى حديثه وتذهب بنظرها إلى صديقتها
سائلة إياها سؤالا غيبيا:

-جيجي، فين طارق؟

تنفعل جنة وتجيب في بغض:

-متجيبش سيرة الزفت ده.

نادر مازحًا:

-خلاص يا ندي مترخميش، الله صحيح هو فين؟

تنطلق من ثغرها ابتسامة هاربة:

-والله رخامين أنتوا عليا.

. يذلف إليهم من كانوا يتحدثون في شأنه، هادي في

بادي الأمر، منفعلاً عندما يراها.

ينطبق عليه المثل القائل " لو أفكرت ربع جنية مخروم

مكش جاه " .

يلتقط يدها ويمسكها بلا مبالاة:

-مش يلا بينا عشان نروح ولا إيه؟

تنزع يده في مباغثة وتجيب في حنق:

-لا مش هروح معاك، أنا همشي مع ندي.

ينفعل عليها وكاد أن يلطمها على وجهها:

-هتيجي معايا فاهمة؟

نادر محاولاً تهدئته:

-هدي أعصابك يا طارق، مش عاوزة تروح معاك،
سبها في حالها، وروح شوف حالك.

يردف منفعلًا:

-قصدك إيه يا نادر؟

ينزوي على ذاته محرّجًا فهو يتدخل في أمر لا يخصه:

-مقصدتش حاجة يا طارق، أنا بقولك سببها
وخلص.

يسحبها من يدها ويلوح بها في وجهه في انفعال وربما
جنون:

بص كويس على اللي في أيدها دي خطيبتني يعني أعمل
اللي أنا عاوزه، وأكد عارفين الاتفاق طبعًا ما هي مش
هتخبي عليكم وأكد أنتوا اللي شجعتوها على كدا، وهي
مراتي على حسب الاتفاق، يعني كل واحد يحط لسانه
جواه بقه ويخرس.

ندى تتفعل عليه في غضب:

-بس ملكش الحق إنك تغصبها على حاجة، ومالكش حق
تعمل معاها كدا، وهي هتمشي معايا أنا يا طارق.

ينظر لها بانفعال:

-يعني كدا يا ندى.

تقترب من وجهه منفعلة متحدية له:

-كدا يا طارق.

* **

تنتزع يدها منه وتأخذها وتذهب مسرعة مشيرة لها أن
تهداً:

-اهدي هاا اهدي.

تتكور الدموع في مقلتيها معانة انهيالها:

-اهدي ايه بس أنت متعرفيش أن الفرحة بعد الامتحانات
بتاعتنا.

تصدم من حديثها وتسال منذهلة واضعة يدها على فاهها:

-أنت بتقولي ايه؟

تتفجر باكية:

-زي ما بقولك كدا.

ندى متحيرة:

-هنعمل ايه؟

تردف باكية:

-أنا مش طايقاه و عارفة أنه هيجلي حياتي جحيم، مكنش
دا الشخص اللي في خيالي، أنا اللي ورطت نفسي في
حوارات أنا مش قدها.

ندى وانهارت من نحيب صديقتها وشعرت أنها ظلمت،
وأنها لا تستحق شابًا غاضبًا و مدللًا مثله:

-متعيطيش والله اعيط معاك.

* **

قبل منتصف الليل في سرايا فاخرة.

فتاة ترتمي بجوار شاب في مخدعه، وهي نصف
واعية، تنخلع من أحضانه وتذهب ناحية الشرفة مرتدية
لباسًا ساترًا وجلبابًا فضفاضًا.

ترمقه بنظرة خاطفة، ومن ثم تنظر إلى خارج النافذة:

-فين المفاجأة اللي قولت عليها؟

يخرج من الدرج الذي بجواره علبة هدايا مغلقة ويطلب
منها بحب أن تنظر ما بداخلها.

تمشي غير متزنة وتلتقطها منه في جمود محاولة إظهار
أي تعبير يدل على الدهشة والانبهار:

-الله. السلسلة دي جميلة، مش غالية دي يا بيبي؟

يمسكها من يدها، لتجلس بجواره ويزيح خصلات
شعرها المنسدلة على وجهها، خلف أذنها برقة:

-مفيش حاجة تغلي عليك، ولو نفسك في العربية هجبها
برضو بس مش دلوقت.

تجيب محاولة اصطناع أي مشاعر واهية:
-كفاية وجودك جانبي.

ينظر إلى عينيها بحبّ وهيام ويخبرها واضعًا يده على
قلبه:

-عارفة أنا ليه بحبك كدا؟

تجيب خافية وجهها:

-عارفة.

يسألها مباغتًا:

-ليه بقا؟

تجيب متحكمة في واعيها وبدون أن تخبره أنها تكرهه،
ذلك الوغد:

-عشان أنا بحبك أكثر منك.

يخبرها وبدأت على ملامحه الضيق، ممسكًا بيدها كأنها
أمانه الوحيد:

-أنا فرحي بعد الفاينال، ومش هبقي طايق نفسي، ممكن تخليكي جانبي.

تتجرف من عيونها دموعًا لا تدري ماهيتها:

-ليه بتفكرني دلوقت؟

يكفكف دموعها بيده ويجيب بصوت حاني:

-إيه الدموع دي بس، لا يا قلبي أنا زي ما قولتلك، أنا مش معترف بالجوازة دي أصلًا، وأنا محبهاش، و أنتِ عارفة أنا بحب مين؟

تجيب بصوت مبحوح:

-لا مش عارفة؟

يتناول يدها ويقبلها و يجذبها إلى حضنه:

-بحبك أنتِ، يا أحلى واحدة في الدنيا دي كلها.

الفصل السابع عشر (الخوف يحكم)

...بعد شهر.

وبعد أن انتهت الامتحانات، وانتهت الأجواء المتوترة ها ستبدأ أحداث جديدة ستقلب الموازين، الحيرة ستكون المؤشر في هذه الأجواء.

تجرى محادثة هاتفية بين والد طارق و والد جنة لتحديد موعد الزفاف.

يبدأ المحادثة بصوته الشامخ والواهن بعض الشيء فالعمر يفعل الأعاجيب:

-الامتحانات وخلصت اهي، ومفيش حجة عشان نعمل الفرحة ونفرح بيهم ولا أنت رايك إيه؟

يزم شفتيه ويفكر طويلاً، ويشعر بالإحراج :

-اللي تشوفوه أنتوا صحاب القرار.

يردف في جد:

-خلاص الفرحة بكرة.

ينصدم والدها ويسأل مستغربًا:

-أزاي بكرة أنا لازم أعمل حاجات كثير، وأجيب لبنتي طلباتها وحاجاتها؟

يحاول أن يطمئنه:

-مش هتحتاج أي حاجة معها، الفيلا فيها كل حاجة ومجهزة بأحدث الاجهزة كمان.

بنبرة خجولة ومتحسرة يخبره والدها:

-بس كدا مش الأصول، وكمان لسه هي هتشتري حاجاتها بنفسها.

يخبره في صوت هادئ مطمئن:

-متقلقش كل حاجة موجودة وعلى ذوقها كمان، أحنا مش عاوزينها غير بستان فرحها وبس، وأي حاجة تاني موجودة.

يجيب والدها محرَجًا:

-أنا مش عارف أقول إيه!

يردف بهدوء وكأنما يخبره أن موافقته شيئًا شكليًا:

-متقولش حاجة، والفرح هيكون في الفيلا، وأنا عملت كل الترتيبات، وحببت ابلك وأطمناك.

بدأ القلق يعتلج صدره ويخبره في هدوء:

-وليه الاستعجال كذا؟

ولكنه يحدث ذاته مفكرًا:

-راجل زي دا معاها شركات وأملاك ليه مصمم يجوز
ابنه لبنتي؟ بالرغم اني مش مطمئن بس دا اكيد خير
ليها.

يخبره بهدوء يجعل قلبه خائفًا أكثر:

-لا استعجال ولا حاجة نفسي افرح بيهم، مش أنت
نفسك برضو؟

يجيب والدها في حبور:

-أكيد يا محمد بيه.

* **

يغلق المكالمة الهاتفية معه ويدلف إلى زوجته. ليجدها
في المطبخ تعد الطعام ليحدثها في شأن الزفاف وأن
الزفاف سيقام غدًا، وأن ترى إن كانت طفلتها موافقة
على هذه العجلة أم لها رأي آخر.

* **

في غرفتها تقرأ كتابًا ما، وبينما هي مندمجة في قراءتها
تدلف إليها والدتها وتتحدث معها بحنوٍ غير معهود، لم
تعتد على هذه الطريقة بكل حال:

-جنة يا حبيبتى.

تنفرج من ثغرها ابتسامة وتسال مشاكسةً:

-إيه الحنية دي بقا؟ هتخلصي مني ولا إيه؟

تردف والدتها بانفعال وحنق:

-يسلام، يعني علشان بكلمك بهدوء يبقي عاوزة
اخلىص منك.

تحاول أن تهدئ الأمور وبخوف مصطنع:

-بلاش عصبية طيب علشان بخاف.

والدتها في ثبات:

-رخمة قوي.

تجيب مشاكسة:

-عارفة.

تحاول أن تتذكر والدتها ما الذي جاء بها إلى غرفتها
لتخبرها في قلق:

-نستيني كنت هقولك إيه، فرحك أنتِ وطارق بكرة.

تصدم وتجحظ عيناها من مقلتها:

-فرح أزاي دا ومن إيه اتجاه؟ أحنا مكلناش شهرين
مخطوبين.

تسألها والدتها مستغربة:

-إيه أنت مش عاوزاه يعني، أكلم أبوك يلغي الجواز
من أصله؟

تحدث ذاته غارقة في أفكارها:

-يلغي إيه بس يا ماما العقود كلها رسمية، حتى لو
اتلغي الفرح دا، العقد مش هيتلغي!

تخبرها في وهن تحاول إخفاءه:

-لا ميلغيش والأمر لله.

تقترب منها والدتها وتربت على ظهرها في حنو:

-محدث هينصبك على حاجة، لو مش عاوزاه سيبيه،
بس محبش اشوفك ز علانة كدا يا بنتي.

تحدث ذاتها مجددًا:

-أنا مش عاوزة وبس لا، أنا مش طايقاه، ولا عاوزة
اشوفه!

تخرج من دوامة تفكيرها:

-لا يا ماما أنا كويسة، متقلقيش.

* **

في هذه الأثناء شخص يجلس على كرسي واضعًا يده على رأسه، تكاد خلاياه تنفجر من شدة التفكير، لقد أراد شيء وها هو سيحصل على شيء آخر.

وبينما هو في غمرة تفكيره يذلف إليه صديقه، فيقف مستنجدًا به، في رجاء:

-تعال يا نادر الحقني.

تعتلي وجه صديقه الصدمة ويسأل في اندهاش:

-مالك يا بني في إيه؟

يصك على وجهه بيده في حيرة:

-هتجوز بكرا يا أخويا.

نادر مازحًا وضاحكًا:

-هتجوزي يا بيضة وهنفرح بيك.

يرمقه بنظرة حادة:

-أنت بتضحك.

يحاول أن يخفي ابتسامته الساخرة:

- اللي يبص على منظرِك لازم يضحك.

تختفي ملامحه الجادة ويخبره ساخرًا:

-بس بصراحة البت مزة يعني، بس مش طايقني ليه؟

نادر متحيرًا من قلب صديقه:

-يا بني أنت إيه؟ مش بتحب حد تاني؟

يخبره مجبورًا:

-بحب أه، بس ما هي هتبقني مراتي يعني خلاص.

نادر سألًا صديقه في عطف:

-أنت مضايق صح؟

تتكور قطرات من الدمع في عينيه ويحاول استجماع
شئات ذاته:

-لا مش مضايق ولا حاجة.

يربت على كتفه مؤاسي له:

-عليا أنا برضو عيونك فضحك على فكرة.

تنهمر بضع قطرات ليلتقطها قبل أن تسقط ويكفكف ما
تجمع من الدمع في عينيه محاولًا إخفاء ضعفه:

-أنا مكنتش متخيل أني أتجوز واحدة غير سارة يا

نادر، أزاي أتخيل أني مش هشوفها كل يوم، وأعيش مع
واحدة مبحبهاش ولا بتحبني، قولي كدا أزاي؟ هقوم من

النوم و متكونش جانبي، أزاي أسيبها؟ وأنا وعدتها
عمري ما هبعدها؟ أنا مجبور على كل دا فاهمني؟
يخبره بإشفاق:

-أنا حاسس مش بس فاهم.

ثم يردف معاتبًا:

- بس أنت اللي عملته بيتخلص فيك، واعدرنى لو
كلامي هيزعلك.

يجيب مدممًا صارخًا:

-قصدك إيه؟ انى وحش وكل اللي عملته بيتردلى؟

يستجمع قوته ويخبره الصدق شاء أم أبى:

-أنت لو مكنتش عملت اللعبة بتاعتك دي، مكنش كل دا
حصل، فمتعملش نفسك مظلوم وضحية ماشي.

ينفعل غاضبًا و صارخًا يشير له بالدلوف خارجًا طاردًا
إياه:

-اطلع برا يا نادر ومش علوز اشوف وشك تانى.

يرمقه بنظرة أخيرة قبل أن يغادر، عيناه تمتلئ بالدمع:

-أنا كنت فاكرا أننا أصحاب، بس أنا مش هاخذ على
كلامك. وهمشي علشان أنت بس مش طبيعى دلوقت.

يخبره بصوت مليء بالغرور والتكبر:

-فاكر نفسه مين، ازاي يقولي أنا الكلام دا؟

أظن أننا في غمرة حزننا نحتاج من يربت على أكتافنا
وحسب. لا نحتاج نصح أو إرشاد، نحتاج يدًا تربت
على قلوبنا قبل ظهورنا.

نحتاج من يحنو علينا، ويخبرنا أننا على صواب وإن
كنا مخطئون.

في حالات الغضب أو الحزن لا نعي ما نقول، نكون
فحسب منكسرين. فهل من مجبرٍ لكسرنا؟

* **

يتركه ويغادر يسير في الطريق المفقر وحيدًا فتأتي على
باله شذي القلب ويهاثفها متناسيًا الدنيا ومن عليها.

تجيب في حنق:

-أيوه يا نادر، عاوز إيه؟

يخبرها محرَجًا:

-لا مش عاوز حاجة، دا أنا رنيت بالغلط.

تخبره بنبرة يعترئها الشك:

-بالغلط امممم.

يخبرها بتذمر:

-إيه امممم دي؟ كلميني كويس زي ما بكلمك.

تخبره بهدوء ولكنها تريد قتل ذلك الأبله:

-مش أنت بترن بالغلط اقفل بقا.

يخبرها مستفزًا ومحبًا:

-ومين قال بالغلط، دا صح جدًا، عاملة إيه أنت؟

تجيب بنفاذ صبر:

تمام، مقولتش المفيد برضو عاوز إيه؟

نادر طلبًا للاهتمام:

-مفيش أخبارك يا نادر، أو حتى أزيك يا متسول.

تخبره بهدوء:

-أخبارك يا نادر؟

يخبرها بحب واضح من صوته:

-لازم أطلب يعني، الحمد لله كويس.

تخبره بتذمر مجددًا:

-طيب تمام عاوز إيه برضو؟

يخبرها خائبًا حزينا:

-مش عاوز حاجة.

تجيب في عجل:

-طيب سلام هقفل أنا دلوقت.

يخبرها أن تنتظر في وجل:

-يا ستي استني، إيه أيدك عاوزة تقفل، فرح جنة
وطارق بكرا.

تجيب منبهرة:

-بجد بكرا؟ شكله حتى جنة محدش قالها، يدوب الحق
بقا.

نادر مستغربًا:

-تلحقي إيه؟ أنتِ عندك ماتش كورة.

ثم يردف محبًا:

-يا ندى أنتِ مش محتاجة تفتني حد، أنتِ فاتنة بدون
مجهود، أخاف إن أراك فأفتن مجددًا، وصدقيني يا
متعبة أنا فتننت من عينيك وحسب.

ندى ممازحة:

-لا اجهز... لحظة واحدة أنا بقولك ليه أصلاً؟ ما أنت مالك أسهل؟

نادر مازحاً:

-ربنا يسامحك، يا رب يا شيخة تتكعيلي وتتكسر رقبتك. تجيب حاقدة عليه:

-لا عا، حرام، يا رب أنت وأنا لا.

وتغلق المكالمة في وجهه وتتركه هائماً على وجهه، مختنفاً ربما. فتاة غريبة حقاً، يخبرها أنه واقع في غرامها، وهي تتجاهله بالرغم من أنه فضح ذاته أكثر من مرة.

يحاول بشتي الطرق أن يخبرها ولكنها لا تبالي بالمرّة، وكأنها تتجاهله عن قصد. لقد أحزن صديقه، ولكنهم اعتادوا الأمر سيتصالحون مجدداً. الصداقة ليست بهينة لتنتهي بلحظة واحدة. الصداقة لا يمكن أن تنتهي بطرفة عين، هي أثن من ذلك بكثير.

* **

في مكان آخر، وتوقيت مختلف.

منزل فخم تحيط الأشجار والزهور بأسواره العالية، في الداخل تلاحظ لوحات لفان جوخ، بيكاسو، دافنشي،

جمعها لوحات نادرة وفريدة. ثريات كريستالية متدلّية من السقف. التحف الفنية الثمينة الموضوعة بانسيابية، الطاولات المطعمة بالعاج. بعض التحف المصنوعة من خشب الصندل ذا الرائحة العطرة. شاب في مقتبل ثلاثينات العمر، وسيم الملامح، عيناه البندقية، شعره الأسود اللامع، أنفه المنمق وثغره كذلك، رياضي القوام، جبهته العريضة، ستقع أي فتاة في غرامه. يجيد الطهي كذلك، ولكن لا شيء مكتمل، فهو دحناس صرصورى عاشق للنساء، بمختلف أشكالهن لا يهم، ولكن ما ذنبه إن كان وسيماً جداً والنساء تحبه. يقف منفعلاً متحدثاً مع فتاة تجلس على الكرسي المقابل له:

-مش قولتلك هيتخلي عنك ويسيبك أهو هيتجوز بكرا.

تنسدل الدموع من عينيها كحبات لؤلؤ مكنون:

-كفاية يا أدهم بقا حرام عليك.

يخبرها في انقباض وشدة:

-هو خد اللي عاوزه وسابك، فاهمة يعني إيه سابك،

يعني مش هيرجع، خلاص بح.

تخبره برجاء:

-لا يا أدهم مسبنيش هو وعدني هيطلقها ونرجع مع
بعض من تاني؟

يخبرها منفعلًا وغازبًا من غبائها:

-وايه يثبتلك أنه مش هيحبها؟

تجفف دموعها وتحدثه في ثقة لم يعهدها منها:

-لأنه بيحبني أنا، وأنا عارفة كويس جدًا أنه عمره ما
هيفكر يحب غيري.

يهدأ قليلًا ويحدثها ببرود أعصاب:

-الأيام هتثبتلك أنه هيحبها ومش هيفكر يرجعلك تاني
زيك زي غيرك فاكرة ولا أفكرك؟

تنتابها النوبة الهستيرية فجأة وتسقط على الأرض
صارخة تمسح يدها في ثيابها وتضرب يدها بالأرض
في جنون:

-أيدي كلهم دم يا أدهم، أنا خايفة.

تضع يداها صوب وجهه:

-أدهم بص في دم في أيدي.

يركض إليها ممسكًا يداها، يجذبها إليه مهدئًا لها، يربت
على ظهرها:

-أهدي يا سارة، مفيش حاجة، دم أي بس أيدك نضيفة
وأنتِ كمان نضيفة، خلاص والله أنا أسف.

تبكي بهستيرية وجنون:

-كان عايش يا أدهم، كان عايش والله كان عايش.

تشير إليه بيدها في جنون:

-بص أيدي كلهم دم، أنا قتلته، كان لازم أموت وهو
يعيش، أنا قتلته يا أدهم.

جائياً على ركبتيه محاولاً تدارك الموقف مرتباً على
ظهرها:

-سارة أنتِ مقتلتيش حد، عمره وأجله خلص، ومش
ذنبك ولا ذنب أي حد، اللي بتعمليه دا غباء، ضعيتي
نفسك وخسرتيها عشان عاوزة تنتقمي، كل اللي عملتيه
انتقمتي من نفسك، أنا فاهم أنك لسه بتحبيه، بس محدش
بيموت ورا حد.

تغفو دون أن تدري، ينظر إلى وجهها المتعب والذي
يشبه الطفل الرضيع النائم.

يحملها برفق ويضعها في غرفة الضيوف. بعد أن
دثرها جيداً ذهب خارجاً مختنقاً، ليحاول ألا يتذكر ما
حدث.

ولكن شاء أم أبى ستطارده هذه الذكرى للأبد، تلك
الذكرى التي غيرت حياة الجميع.

قبل ثلاث سنوات.

هاتفه طبيب في مشفى يخبره أن أخاه الصغير تعرض
لحادث وأفضي بحياته، وأن يأتي ليأخذ الجثة، وأيضًا
يأخذ معها فتاة مجنونة تصرخ بشكل مستمر أن الفقيد
ما زال حيًا. يتذكر وجهها وصراخها، عدد النوبات
الهستيرية التي أصابتها.

يتذكر اليوم الأول من العزاء، ارتدت فستانًا فاحشًا، و
وضعت مستحضرات تجميل بشكل مزري، كانت كمًا
لو أن مسًا حل بها. كانت تتحدث مع والدتها في جنون،
وتخبرها أنها ذاهبة لتقابل خطيبها، حاولت والدتها أن
تمنعها من الخروج ولكنها لم تستطع لذلك لجأت إليه.
هرع مسرعًا إليها وعندما وصل وجدها تبكي وتخبر
والدتها بآثار الدماء التي على يدها، وعندما رآته هرعت
إليه مبتسمة باكية، تخبره أن يأخذها لترى خطيبها، لقد
أتصل بها، وأخبرها أن تتزين من أجله.

لقد علم أنها أصيبت بالجنون حتمًا، أخذها من يدها إلى
غرفتها وأغلق الباب وتركها تصرخ وتحطم الباب من
الداخل، وأما هو فدلف إلى الخارج ليخبر والدتها أنه

يجب عليها إحضار الطبيب، وإن لازم الأمر سنضعها تحت إشراف طبي خاص. ما زال يتذكر محاولات انتحارها وأنهاء حياتها، وكم من مرة انقذها قبل فوات الأوان. تلك الغيبة لا أحد يموت من الحب، أخبرها مرارًا أنه مجرد حادث ويحدث، لقد كان أخوه وإن أراد سينتقم ويقتص له بنفسه، ولكن الذنب ليس ذنب أحد. يجب أن تسامح وتنسي، الجميع ينسي في النهاية.

الفصل الثامن عشر (اليوم الموعود)

اليوم التالي، اليوم الموعود.

يوم الزفاف، الساعة الثامنة مساءً.

..فتاة ترتدي فستان الزفاف وأفسدت ما وضع من
مستحضرات تجميل من كثرة نحيبها وبكائها المستمر.

تنهرها صديقتها في انفعال:

-كفاية بقا يا جنة كدا وبعدين الناس هتقول إيه؟ وافرض
مامتك شافتك وأنت بتعيطي.

تخبرها باكية في رجاء واستعطاف:

-أنا مش عاوزة اتجوزه، أنا هروح لبابا ويلغي الفرح.

ندى وفقدت صوابها:

-أنت اكيد اتجننتي يا جنة فاضل ساعة والضيوف
توصل يلغي ازاي؟

ترتمي في حضنها متوسلة:

-مليش دعوة مش هتجوزه.

في هذه الأثناء.

يرتدي الفتى المدلل بذلة الزفاف ويهدم ذاته، ويذهب
ليحضر فتاته من منزلها. فيجد سيارة أدهم أمام منزلها،
و هنا يكتشف أن أدهم بانتظار جميلته.

يحدجه بعينيه في حلق:

-مكنتش متوقع أني هشوفك يا أدهم.

يجيب أدهم مستفزاً إياه:

-أنا برضو اللي مكنتش متوقع تشوفني، دا أنت حتى
العريس إيه اللي جابك هنا؟ ولا مش قادر تنسي حبيبة
القلب؟

في انفعال أمسك أدهم من ياقته وصرخ به:

-سارة ومالكش دعوة بيها وابعدها عنها، فاهم ولا مش
فاهم، ودي حاجة متخصصكش اني اشوفها ولا لا؟

دفعه بعيداً وأزاحه مستخفاً به:

-واضح أن محدش علمك تحترم الأكبر منك.

ثم يردف، معدلاً ياقته كما كانت:

-طيب يا طارق الأيام بينا طويلة.

تدلف إليهما من منزلها، الجمال الرباني والعلم
النوراني، وتتنظر إلى أدهم وتسأله في قلق:

-في إيه يا أدهم؟

يتحدث بسخرية:

- لا مفيش كنت بتكلم مع العريس شوية.

تنظر له معاتبة:

-خلاص يا أدهم كفاية.

تأخذ طارق من يده بعيداً متحدثه بهدوء:

-مكنش في داعي أنك تيجي، أنا كنت جاية مع أدهم.

يخبرها منفعلاً:

-و أنا مش هسيبك تروحي معاه وأنا موجود، أنتِ

هتروحي معايا أنا.

تحاول تدارك الموقف:

-وعروستك إيه موقفها لما تشوفك داخل معايا، ولا

أبوك، ولا الضيوف؟

يخبرها منفعلاً:

-أنا ميهمنيش حد إلا أنتِ افهمي بقاء، وأنا بحبك أنتِ

ومقدرش أعيش من غيرك.

* **

ندى و والدة جنة في الغرفة معها، تحاولان تزيينها
وتعديل الزينة التي على وجهها. تلبسها صديقتها
الحجاب، لقد ظلت متمسكة به حتى في ليلة العمر كما
يقولون. هناك الكثيرين الذين ينزعونه متحججين أنها
ليلة وستمضي وأن لا يهم، العمر واحد والرب واحد.
تحاول أن تلمم شتات عقلها وأن تتماسك فقط أمام
والدتها وحسب.

تنظر لها صديقتها في ود:

حبيبتي بقاء، وأخيراً شوفتك أحلى عروسة في الدنيا.
تذرف والدتها دموعاً تنساب على تجاعيد وجهها كما
الترسبات الرملية:

-معقولة هتسبيني وتمشي خلاص، أنا هتخايق مع مين
ولا ازعق مع مين؟

تجيب مشاكسة، محاولة التخفيف عن وطأ والدتها:

-يا ماما أنا هتجوز مش هموت، ومتخافيش يا قلبي،
هبقي عندك كل يوم، أنتِ بس تأمري.

تكفكف والدتها دموعها بعد أن أبتلّ ردائها وتخيرها في
حنو:

-أنتِ الوردة اللي أنا قعدت طول عمري أهتم بيها،
والآخر يجي واحد وياخدك بالجاهز.

تجد سببًا لتتهمر دموعها وتجيب في إصرار مختلط
بالدمع:

-بس أنا مش عاوزة أسيبك، مش عاوزة أمشي، خديني
معاك يلا نرجع البيت.

تجيب والدتها كمّا المغلوب على أمره:

خلاص بقا الناس تقول علينا إيه؟ وبعدين أنتِ موافقة
عليه وخلاص، مينفعش نرجع في كلامنا.

يعتري الوجوم وجهها وتخيرها بوهن:

-آه موافقة.

يطرق والدها عدة طرقات قبل أن يدخل، بالرغم أن
الباب موارب، كان يمكنه الدخول بدون حاجة للطرق،
ولكنها عادات النبلاء حتى وإن كانوا طبقة كادحة.

النبيل يبقي نبيلًا وإن كان رثّ الثياب.

يخبرها والدها عندما رأى طلّتها:

- باسم الله ما شاء الله، اللهم صل على النبي.

ثم يردف والدها في عجلٍ:

-يلا بقا المأذون برا ومستنيكم أنتِ والعريس.

..تومئ برأسها موافقة، تجر فستانها خلفها بلامبالاة،
ذاهبة إلى محراب الزواج أو مقصلة الإعدام ربما، لم
تكن تتمني شخصاً مثله، كانت تمنّي ذاتها بشابٍ خلوقٍ
يأخذ بيدها ويعينها على دينها، ولكن لما آل الحال إلى
شاب مدلل وأبله. وها هي تجلس منتظرة عريس الغفلة
الذي يبدو أنه لن يأتي، وتشعر أن هذا أفضل، وتدعو
الله ألا يأتي.

* **

تركته ندى وذهبت لتبحث عن المصيبتين، فهي لا
تطمئن بوجودهما معاً في ذات المكان، وبعد بحث ليس
بهين. وجدتهما أخيراً بجوار مأدبة الطعام، تهرع إليهما
منفعلت، تسألهما في حنق:

- أنتوا بتعملوا إيه؟

يخبرها نادر متوترًا، خافياً خلفه المصيبة الأخرى:

-مبنعلمش حاجة.

تحاول أن تزيحه بيدها بعيدًا وتخبره بامتعاض:

-وسع كدا اشوف إيه اللي وراك دا؟

يخبرها المصيبة القابعة خلفه، وشدقيه ممتلئ بالطعام:

-يا ستي قالك مبنعملش حاجة يبقي مبنعملش حاجة.

ندى وانفرجت من ثغرها ضحكة بدون ارادة منها:

-مين الضفدع دا؟

يخبرها ممازحًا:

-دا حازم، حازم.

تخبر نادر في خجلٍ أن يبتعد وتنظر له في استعطاف
فهو قوي الجثة ولن تستطيع أزاحته إن ظلّ واقفًا في
مكانه هكذا. بعد أن رضخ لطلبها رأت الكارثة لقد أكلوا
نصف ما تحتويه مأدبة الطعام، وتتوجه بنظرها إلى
حازم في انفعال وغضب:

-يخرببيتك، يخرببيتك كل دا اكلتوه؟

نادر وتعلّو وجهه ضحكة بلهاء:

-جوعنا، أكلنا مفيهاش حاجة يعني.

حازم مؤيدًا:

-فيها إيه يعني لما أكلنا نص البوفيه، هيجرى حاجة،
والله ما هيجرى حاجة.

تقترب ناحيتهم بغضب و عينيها تكاد تلفظ خارج
جمجمتها وتركض خلفهما بعد أن هرعوا هاربين:
-مفيهاش حاجة آه.

نادر يدور حول المأذبة لاهثًا، مشيرًا لها بيده أن تهدأ:
- يا ندى اهدي بس.

تخبره في انفعالٍ ملوحةٍ بيدها:

-متقوليش أهدي، أنت كدا بتعصبي أكثر، اقول إيه
لمحمد بيه أنا دلوقت؟ جاعوا كلوا البوفيه.

حازم أستغل انشغالها مع نادر وجلس يأكل ويخبرها
ممازحًا:

-وفيها إيه يعني يا ندى متكبريش الموضوع بقا؟

تنظر له بحنق، لقد رفع ضغطها و سيصيبها بسكتة
دماغية قريبًا:

-أنت هتشلني وكمان قاعد وبتأكل.

يخبرها بلا مبالاة وشدقيه ممتلئ بالطعام:

-عاوزاني أعمل إيه يعني؟

تسير نحوه بهدوء مبتسمة ابتسامة هادئة:

-لا متعلمش حاجة أنا اللي هعمل.

تتناول السكين الضخمة بجواره وتبتسم وعيونها لا تبشر
بخير، بحركة مباغته وسريعة تضع السكين على عنقه
وتخبره في هدوء خائق:

-قوم فز دلوقت.

حازم و فمه ممتلئ بالطعام خائفاً لأنها يمكن أن تقتله
حقاً:

-يا مجنونة، ابلع الأكل اللي في بقي ولا هتموتيني؟
ندى محذرة:

-سيب الطبق وقوم.

خائفاً مغلوباً على أمره، تاركاً الطبق الذي بيده:
-حاضر، حاضر.

نادر يقف بعيداً ضاحكاً عليهما، يعرف جيداً أنها لن
تقتله، إنما هي منفعة مما فعلاه. فهما لم يحترما أحد
وتطفلا على نصيب الغير، فشعر أن غضبها مبرر.
لقد وقع في غرامها للمرة الألف ربما، ذلك الفتى لقد
أصابه سهم الهوى.

* **

في سيارة. خارج أسوار السرايا شخصان يتحدثان،
أحدهما منفعل والآخر هادئ.

تخبره في هدوء وحكمة:

-لازم تروح لوحدك دلوقت.

يخبرها منفعلًا:

-مش هسيبك و هتتدخلي معايا بقولك.

تحاول أن تكون هادئة وذلك يستفزه وهي تعلم:

-مش هينفع يا طارق.

هدوءها أستفزه وثار غاضبًا:

-هتتزلي معايا و هتتدخلي معايا مفهوم.

لم يعطها الوقت لتنبس بحرف، دلف من السيارة وفتح الباب لها وأخذ بيدها كما لو كان أمير من الأمراء.

سار معها في الطريق إلى محراب الزفاف، واضعًا يده على خصرها، جاذبًا لها في جنون جلي من عينيه، غير أبه بمن حوله. وسط نظراتهم ودهشتم ودهشة العروس كذلك التي وقفت مذهولة من وقاحته.

تحاول أن تتملص منه وتخبره في استعطاف:

-سبيني يا طارق كفاية كدا هي شافتنا خلاص، والناس بتبص علينا كفاية.

-يزفر طويلًا ومن ثم يخبرها راضخًا:

-حاضر.

تركته مبتعدة لتجلس وحيدة وبائسة، تعقم يداها وتمسح على ثيابها التي قام بلمسها للتو. أما هو سار إلى المقصلة، وجلس بجانب عروسه، التي كانت مندهشة من كم وقاحته، وأشاحت بنظرها بعيداً عنه.

يخبرها مستفزاً وبكل وقاحة:

-اللي شوفتیه صحيح، أنا بحبها هي وأنت مجرد صفقة بيني وبين محمد بيه غير كدا متفتكريش أنك أكثر من كدا.

مشيحة بنظرها بعيداً:

-وأنا ميهمنيش كل دا، أنا مش طايقك، والشعور متبادل صدقني.

يدلف المأذون إليهما في حبور ويخبرهما في هدوء:

-بسم الله الرحمن الرحيم، طارق محمد عبد الحكيم، تقبل الزواج من الأنسة البكر الرشيد جنة قدرني أحمد.

مجبوراً على أمره:

-أقبل.

ينظر لها المأذون في ود:

-وأنتِ يا جنةِ قَدري أحمدِ تقبلينِ الزواجَ منِ الأستاذِ
طارقِ محمدِ عبدِ الحكيمِ؟

صامتةٌ وخائفةٌ ومتوترةٌ لا تنبسُ بطرفِ حرفٍ. يعيد
الكرَّةَ مجددًا، ولكنها تبدو كما لو أنها دلفت إلى عالمٍ
آخرِ.

يهمس لها بغیظٍ وحنقٍ:

-بلاشِ فضايحِ وقولي أيوه وخلصينا، متعمليش متمنعة
وأنتِ السببِ في داكله.

يكرر المأذون سؤاله قلقًا هذه المرة:

-جنة بنيتي أنتِ موافقة على هذا الزواج، بنيتي كل
شيءٍ بالخناق إلا الزواج فهو بالاتفاق، إن كنتِ غيرِ
موافقة يمكنني محادثة والدك إن كان جابرك على شيءٍ
لا سمح الله.

تخبره متوترة متلعثمة:

-أيوه موافقة.

تهلل وجه المأذون قائلاً:

-بارك الله لكما وجمع بينكم في خير، بالرفاء والبنين إن
شاء الله.

و همَّ مغادرًا تاركًا إياهما بمفردهما.

ينظر لها محتقراً:

-ينفع كذا الفضايح دي؟

تخبره في حنق وازدراء:

-أنتَ تسكت خالص متكلمنيش .

يحدج عيناه في انفعال:

-حسابنا بعدين ،مش قدام الناس.

* **

نادر جالس بعيداً في زاوية ما، تلمحه ندى وترمي له
مكبر الصوت. الذي التقفه التقاف جيد، وهو مندهش
منها كآيًّا، لقد كانت غاضبة منذ برهة :

-أعمل بيه إيه دا؟

تنظر له باسمه:

-غني، غني.

يرمقها بعينيه مبتسمٍ ويخبرها بهدوء:

-لا مش هغني أنا.

تخبره محذرة ومهددة:

-عارف لو مغنتش هقول واسيح ها؟

ينظر طارق إلى حبيبته ويخبره في رجاء صديق،
مشيرًا له أن يسامحه:

-غني يا نادر.

-نادر جادًا:

- لا مش هغني وقولي اللي عاوزاه.

تنظر له في استعطاف و عيون بريئة يكاد يقسم أن
عينها سيوف ذات حدين تقسمه قسمًا:

-صاحبك بيقولك غني، مش هتغني يعني.

لا يعدل عن قراره:

-مش هغني أنا قولت.

تنظر له في حنق وتنفذ تهديدها:

-يعني كدا طيب على فكرة بقا حازم ونادر كانوا...

يباغتها حازم كاتمًا على فاهها الكبير، منقذًا للموقف:

- أنا هغني اسكتي يا حقنة.

يرمق نادر بنظرة خاطفة ممازحًا:

-أرمي الحديدة يا نادر.

يقذف له مكبر الصوت ويلتقطه منه صوت المقشة منقذاً
للموقف و مصدرًا للتلوث السمعي. حازم ممسكًا بمكبر
الصوت ويطلق نشارًا يعتبره غناءً:

-كله يسمع بقاء، اسمع، اسمع، بتناديني تاني ليه؟

طارق مشيرًا إلى جنة في غيظ:

-أنتِ عاوزاه مني إيه؟

حازم ملوحًا بيده:

-ما أنتِ خلاص حبيتي غيري.

طارق ضاحكًا:

-روحي للي حبتيه، روحي للي حبتيه.

انطلقت ضحكة من ثغرها بدون قصد، رمقها بنظرة
خاطفة محادثًا ذاته:

-ضحكتك مدمرة يا مدمرة.

لاحظت أنه رمقها بعينيه عدة مرات، لذلك أشاحت
نظرها بعيدًا في ضيق وحنق.

سارت ندى نحو نادر بدلال ونظرت له باسمه وأخبرته
في رجاء:

-مش هتغني عشان خاطري أنا طيب؟

نادر منذهلاً، هذا الدلال والرقعة، يذلف إليه راجياً،
أيعقل:

-بتقولي إيه؟

تنظر في خجل وتصك قدمً بقدم:

-بقولك مش هتغني عشان خاطري؟

يرمقها بحب:

- هغني عشان خاطرك يا ست الحسن وسبب الحزن
والعلة.

أخذ مكبر الصوت من صوت المقشدة بالرغم أنه يبدو
ظريفاً وأغانيه لطيفة كذلك.

ينظر لها منحنيًا ويمد لها يده في حب:

-ممكّن تسمحي لي بالرقصة دي يا مولاتي؟

تنفرج من ثغرها بسمة تعلو وجهها، مطرقة في خجل:

-ممكّن.

حازم سار إلى العروسين ونظر إلى جنة في عطف:

- يلا جنة تعالي ارقصي أنتِ وطارق.

تنظر له نظرات رافضة وخائفة كذلك.

يخبرها ممازحًا:

-ارقص معاكِ أنا طيب، خلاص لو مش حابة خليكِ.
طارق انفعل انفعال غير مبرر بالرغم أنه لا يهتم بها،
ولكنها أيضًا زوجته:

-لا هي هترقص معايا أنا.

يجذبها من يدها ويجرها خلفه:

-ارقصي معايا.

تنزع يدها من يديه في محاولة بائسة :

-مش هرقص معاكِ.

قابضًا على يدها مزمجراً:

-جنة مش عاوز ازعلك، بابا بيبيص علينا، حاولي
تبتسمي شوية.

يقترّب منها ممسكًا يدها وهي تحاول أن تزيحه بعيدًا.
يخبرها مستفزًا:

-مش هاكلك

تدفعه بعيدًا براحة يدها:

-ابعد عني مش طايقاك، سيب أيدي، قولتلك مش عاوزة
أرقص.

يقترّب منها أكثر قاصدًا استفزازها:

-أنا برقص وبعيد .

تزفر في ضيق وتصمت الجدل معه يجعله مستفزاً
أكثر.

نادر مغنياً وينظر بهيام إلى ندى ويضع حدًا فاصلاً
كي لا تتلمس أجسادهم، بينما هي مطرقة النظر أرضاً
في خجل:

"تبدأ حكايتي لما كنت بشوف عينيكي

يخلص كلامي لما إيدي بتلمس إيديكي

بسرح بفكر إزاي هوفي وعودي ليكي

تبقى إنت ليّ بكل غالي أنا مشتريكي

أنا كنت راسم صورة لينا أحلى كثير، أحلى كثير

في دنيا ثانية كنت ملكة وأنا الأمير

فستان وبدلة بلون كسوفك فرحانين

بالنسبة ليّ اليوم ده كان حلم السنين"

الفصل التاسع عشر (اعتراف و رفض)

بعد انتهاء الحفل، سار كل الضيوف إلى منازلهم
وتركوا العروسين بمفردهم.

ودعتها والدتها داعية لها بالسعادة في حياتها القادمة،
تحدثت معها أنه زوجها ولا داعي للحرص بينهما،
وبالرغم من ذلك كانت تهزّ في رأسها بلامبالاة، لأنها
لن تدعه يقترب منها مهما حدث.

قبلها والدها على جبينها مودع لها.

* **

في غرفة كبيرة وواسعة وبالرغم من سعتها إلا أنها
تشعر بالاختناق، كما لو أن الأرض تضيق بها بما
رحبت.

يخبرها هادئاً:

-أنا هسيبك عشان تغييرى هدومك وهاخذ شور.

لم تتحدث معه ظلت صامتة، خائفة ترتعد فرائصها،
تنزوي على ذاتها. تسير إلى الطاولة التي في منتصف

الغرفة. تأخذ سكين الفاكهة وتخبئها بجواره، جالسة على أطراف الفراش مرتعدة. يخرج من غرفة الاستحمام مرتدياً بجامته، يجدها لم تبدل ثيابها، ولم تتحرك من مكانها، يحدجها بعينيه:

-مغير تيش هدومك ليه؟

تستجمع قوتها وتخبره في ضيق:

-مالكش دعوة ومش هغيير هدومي، غير لما تتطلع برا.
ينظر لها بسخرية:

-أطلع برا ازاي مش أنتِ مراتي برضو، ودي ليلة فرحنا.

تخبره في انفعال:

-لا مش مراتك.

يقترّب منها مستفزاً:

-لا مراتي وغصب عنك.

جنة تلوح بالسكين في وجهه بخوف:

-عارف يا طارق لو قربت مني هقتلك واقتل نفسي.

يقترّب منها أكثر واضعاً السكين أمام قلبه مباشرة، مستخفاً بها:

-متقدريش تعملي كدا.

تضع السكين على يدها، في محاولة لقتل نفسها:

-أهو والله اموت نفسي لو مبعدتش عني.

يبتعد عنها، ويخبرها منفعلًا:

-يخربيتك خلاص هتوديني في داهية، خلاص، أصلًا
أنا مكنتش هلمسك، أنا هاخذ المخدة واللحاف وهنام في
الايضة الثانية، أنا أصلًا قرفان منك.

ثم يردف ساخرًا:

-سكين الفاكهة مبتموتش حد يا غبية، المرة الجاية لما
تحبي تموتي حد قوليلي، وأنا هجباك مطواة أسرع.
يسير تاركًا إياها خلفه خائفة، تتجمع الدموع في مقلتيها،
ومن ثم يعود مجددًا، مستفزًا إياها:

- الفيلا دي مسكونة، مقتول فيها حد قبل كدا، وروحه
بتدور على الخلاص، أبقي هدديه بسكين الفاكهة.

ثم يخبرها جادًا:

-لو كنت عاوز أعمل حاجة، كنت عملتها بس صدقيني
أنا مش حابب، أنت مش ذوقي.

تخبره منفعلًا، مشيرة له بالدلوف خارجًا:

-أطلع برا.

سار ساخرًا منها، تبدو مثل طفل صغير عندما تغضب،
إن أراد شيئًا سيحصل عليه ولكنه ليس وغدًا كذلك، هو
وفي جدًا لحبيته، ولن يقترب من الفتاة فقط لأجلها.
انتظرت ريثما غادر وشرعت في البكاء والنحيب
واضعةً يدها على وجهها:

-يا رب أنا معملتش حاجة وحشة في حد ولا أذيت
حد، ليه بيحصلي كدا، مكنش دا الشخص اللي في
خيالي، يا رب أنا نفسي اقوم واصحي والاقى السنة دي
خلصت علشان اخلص وارتاح منه.

* **

في السيارة أمام منزل ندى الفخم، تجلس في المقعد
بجوار السائق و حازم في المقعد الخلفي متكوم و نائم
مثل الجثة.

نادر قبل أن تهّم بالدلوف خارج السيارة، أخبرها بودًا:
-ندى ممكن أعترف لك بحاجة؟

تخبره في عجل:

-في إيه قول بسرعة؟

يخبرها خجلًا:

-ندى أنا بحبك.

تعترىها علامات الصدمة والاندهاش:

-أنتَ بتقول إيه بقا، هااا؟

يخبرها مكرراً:

-بقولك بحبك.

تتوتر وتفرك كفَّ بكفٍ:

-يا نادر أحنا صحاب وأنا عمري ما فكرت فيك بالشكل دا.

يحاول أن يداري أحراجه وجرح قلبه ربما ويخبرها
ممازحاً:

- أنتِ مخلتنيش أكمل كلامي ليه؟ أنا آه بحبك زي
الأخوات ومش أكثر.

تضع يدها على وجهها في خجل مبتسمة:

-خضتني معلى المرة الجاية هخليك تكمل كلامك.

بوجه يعتريه الوجوم:

-تصبحي على خير.

تخبره محاولةً فهم ما يجري معه لقد كان سعيداً منذ
برهة:

-خد هنا مش هسيبك تمشي، شكك زعلان؟

تظهر على وجه علامات الضيق:

-لا مش زعلان، أبدًا بالعكس.

ندى مازحةً:

-يعني إيه مش زعلان و أنت وشك قلب الوان؟

يحاول ضبط أعصابه ولكنه لا يستطيع، ذلك الذي كسر قلبه للتو:

-مفيش حاجة يا ندى ياووه بقا، إيه مبتسمعيش؟

تنظر له في حنق:

-لا بجد أنت مش طبيعي.

يخبرها منفعلاً:

-أنا فعلاً مش طبيعي، روعي اطلعي وسبيني.

تخبره في عطف:

-كل دا علشان قولتلك أحنا صحاب يا نادر.

ينفجر صائحاً في وجهها منكسر الفؤاد:

كل الحاجات اللي بنعملها دي وصحاب؟ أزاي يعني؟

قوليلي، شوفتي اتنين صحاب بيخافوا على بعض ولا

بيرقصوا مع بعض، شوفتي اتنين صحاب زينا كدا؟

اتنين صحاب و بنتكلم بالساعات مع بعض ولو غابت
عنك يوم بتكلميني، طيب لما اضربت عشانك يا ندى
كنتِ مخضوضة وخايفة قولي يا ندى أحنا صحاب ولا
حاجة تاني؟

تتكور الدموع في مقلتيها، تقاوم البكاء بكل ضراوة:
-بص متكلمنيش تاني ولا عاوزه أعرفك تاني، وسلام
دلوقت أحنا اتفقنا نكون صحاب وعمرنا ما هنكون أكثر
من كدا، خلينا كدا أحسن.
ما زال منفعلاً:

-حاضر يا ندى، امشي.

تتركه هاربة قبل أن تنسدل الدموع من عينيها أمامه،
ماذا يريد لها أن تفعل؟ لا أكره في الدين ولا أكره في
الحب كذلك.

جالسًا في السيارة واضعًا يدها على رأسه، يباغته صوت
حازم الناعس:

-أنا سمعت كل حاجة على فكرة.

يسأله منصدم:

-سمعت إيه؟

يخبره ناصحًا:

-أسمع مني، ندى ملهاش في جو الحب والكلام دا،
ومش هتحبك و لو قعدت كل شوية تعمل حركاتك دي،
الحركات دي تتفع مع جنة ممكن لأنها مختلة زيك
وبتحب الشعر والحاجات اللي بتعملها دي.

نادر في حنق:

-سيبك أنت من الحوار دا ويلا علشان نرجع عربية
طارق مكانها.

يخبره ناعسًا:

-طيب هنام أنا.

نادر حائق عليه:

-نام طيب نام، مش فالح غير في النوم.

* **

في منزل والديها.

والدها يتحدث مع والدتها ويتسامران في ود.

والدتها واضعةً يدها على قلبها، بقلق:

-أنا حاسة أن بنتي مش مبسوطة، معقولة واحشتني
بسرعة كدا.

والدها بحكمة وهدوء:

-كفاية بقا يا حورية إيه، ما هي مصيرها كانت هتتجوز
وتسيبك وتمشي، وبعدين ما أنت مجوزه أختها من
سنتين وفي الكويت، ومعملتيش اللي بتعمله دلوقت.
تخبره في حزن:

-لا بس مكنتش هتمشي بدري كدا، دي آخر العنقود يا
أبو البنات.

يخبرها مازحًا، مخفّفًا توتر الأجواء:

-نصيبها. وجالها لحد عندها هنعترض يعني، وابقى
روحيلها بكرالو واحشتاك قوي كدا.

* **

في سرايا أكبر حجمًا وبهرجة وزخارف وأجواء
هادئة. يتحدث شخصان بجوار زهرة الاقحوان.
يخبره مستعطفًا:

-يا بابا أنا حاسس أننا ظلمنا البت دي مع طارق.
يخبره والده بهدوء:

-هي الوحيدة اللي هتقدر تغيره، أنا شايف فيها نظرة
تمرد وواثق جدًا أنها تنفعله وبتغيره للأحسن.
يخبره قلقًا:

-يا بابا أنت متعرفش طارق ممكن يعمل إيه فيها؟
هتغيره أزاي معلش، هو من أمتي حد بيغير حد؟
يجده بعينيه واثقًا:

-مقدرش يعمل حاجة ولا يأذيها.

يخبره محذرًا:

-ذنب البنت دي في رقبتك، لأنك مش عارف ابنك.

* **

في الغرفة المجاورة لغرفته يجلس في ملل، ولا
يستطيع النوم، لقد قرر الذهاب لرؤيتها واللعب
بأعصابها، ربما يتسلى قليلاً. يطرق باب الغرفة عدة
طرقات، ومن ثم يدلف إليها بعد أن أذنت له.
يخبرها مستفزًا، ناظرًا لها نظرات لا تبشر بخير:

- أنت مغير تيش هدومك ليه؟

تخبره بحنق:

-ملكش دعوة، أنا مبسوفة كدا.

ينظر نظرات حادة وسريعة ويلوح ببصره علبة أدوية
لم تكن هنا سابقًا، في النهاية هذه غرفته ولقد احتلتها
رغمًا عنه، يخبرها بحدة:

-وايه دا كمان، أنت منهم ولا إيه؟

تعدل جلستها وتخبره في انفعال:

-قصدك إيه؟

اقترب من الدرج وأنتزع العلبة قبل أن تأخذها بحركة
مباغته منه، منفعلاً:

-يعني أنت مدمنة صح؟ نسب يشرف فعلاً، وعاملة
نفسك غلبانة.

تعقد حاجبيها وتسأله في حنق. وتحاول أن تنتزعها منه:

-أنت بتقول إيه، هاتها بقولك؟

يخبرها مستفزاً، ضاحكاً، مبتعداً عنها بخطوات بطيئة:

-متقدريش تعيشي من غيرها صح؟

تخبره في رجاء:

-طارق بقولك هاتها، أستني.

يتركها مغلقاً الباب خلفه بالمفتاح من الخارج، تاركاً
إياها تحاول محاولات بائسة لتفتح باب الغرفة ولكن
بدون فائدة. ستظل حبيسة في ذلك المكان اللعين،
تجلس مقرفة بجوار الباب تطرق طرقات واهية.

تخبره في وهن:

-حسبي الله ونعم الوكيل ومش هقدر اقول غير كدا، يا
رب أموت وارتاح بقا، هو ليه بيعاملني كدا باحتقار
الغلطة غلطته، أنا عارفة أنك سامعني، هات علبة الدوا
بتاعتي من فضلك!

الفصل العشرون (رقيق القلب)

بعد ليلة البارحة

في صباح هذا اليوم المشرق والجديد، أشعة الشمس تشرق بنور ربها، معلنةً صباح يوم حميد. يدلف إلى غرفته يجدها نائمة ما زالت مرتدية فستان الزفاف، يأخذ هاتفها، يقطع سلك الهاتف الأرضي وينظر في وجهها مطولاً ويتحدث في حلق:

-وريني بقا هتطلي أزاى؟ ولا حد هيساعدك أزاى؟
يغادر الغرفة ويغلقها خلفه بالمفتاح جيداً، في هذه الأثناء تسير مدبرة المنزل إلى غرفته لتوقظ سيدة المنزل أو التي أصبحت كذلك.

يشير إليها أن تأتي إليه قائلاً في حدة:

-خدي هنا رايحة فين؟

مدبرة المنزل:

-هصحي الهانم يا بيه.

يعدل من لهجته، قائلاً بهدوء:

-لا متصحيهاش سبيها، ومحدث يدخلها، لحد ما ارجع.

ثم يردف:

- محدش هانم هنا يا نجوى، زيك زيها، أنتِ سيدة البيت دا.

مدبرة المنزل بخجل:

-تأمر بأي حاجة يا بيه؟

أخبرها هادئًا:

-لو حد سال عليها قولي أنها راحت معايا الساحل.

تنصاع لأمره:

-حاضر يا بيه.

يتركها ويذهب خارجًا، ليأخذ سيارته التي يقودها في سرعة جنونية كمن لا يهبا بالحياة.

يتناول هاتفه ويطلب رقم ما يحدثه في حب:

-أنتِ جاهزة؟

صوت أغلاق حقيبة في الطرف الآخر:

-بقفل الشنطة يا طارق أهو ونازلة.

يخبرها في عجل:

-بسرعة طيب.

تخبره لاهثةً وهي تهبط من درجات السلم حاملة
حقائبها:

-استني بنزل في الشنط.

-يصل أمام منزلها ويخبرها في هدوء:

- أنا وصلت أهو.

تخبره في دلال و وهن:

-تعال نزل الشنطة بتاعتي.

يدلف خارج سيارته ويصعد على درجات السلم، ويأخذ
منها حقائبها ويهبط بهم ويضعهم بداخل سيارته،
ويخبرها أن تصعد إلى السيارة بعد أن فتح لها الباب
بحركة نبيلة كما كان يحدث في أفلام الأبيض والأسود.

* **

في ذات التوقيت

ندى تجلس في غرفتها واجمة الملامح يعترئها الحزن
والضيق، رنين الهاتف النقال المزعج الذي لا يتوقف
عن الرنين، وهي لا تحبذ أن تجيب، تنقر والدتها على
باب غرفتها نقرًا خفيفة، تستأذن منها للولوج إلى
غرفتها.

بصوت حان:

-ممکن ادخل؟

تخبرها في وهن:

-أفضلي يا ماما.

تربت والدتها على كتفها:

-في إيه بقا مالك شكك ز علانة، في حد ز علك ولا إيه؟

تجيب بصوت مختنق:

-لا يا ماما مفيش حاجة.

يرن الهاتف النقال وتغلق وترميه بعيدًا، بلا مبالاة

وتنظر إلى والدتها في انفعال:

-مش عاوزة ارد.

والدتها تعقد حاجبيها في شك:

-وأنا مقولتش أنك تردي، وكمان ردي مش يمكن

يصالح مزاجك بدل ما أنت بومة كدا.

تسألها في عتب:

-قصدك أني بومة يا ماما؟

تضرب والدتها كف بكف:

-ردي على اللي بيتصل وشوفي.

تتناول هاتفها وتجيب في ضيق:

-ألو.

يخبرها والانفعال باديًا في صوته:

-ليه مكنتيش عاوزة تردي؟

تطرق نظرها إلى الأرض خجلة:

-مكنتش عاوزة اكلمك.

تلّوح والدتها بيدها وتتركها بمفردها:

-أنا همشي واسيبك دلوقت.

يخبرها هادئًا:

-وكلمتيني ليه بقا؟

تخبره في حنق:

-وبعدين أنت اللي بتتصل، قولي عاوز إيه؟

يخبرها بلطف:

-عاوز أقولك أنني آسف، على اللي حصل امبارح،

وكمان أنا مكنتش اقصد.

ترتسم على وجهها البهجة:

-يعني هنرجع صحاب من تاني؟

يخبرها ممازحًا:

-أحنا عمرنا ما كنا أكثر من كدا.

تسأله في عجب:

-إيه غير حالك كدا؟

يخبرها في عجل:

- باباك فاضي بكرة؟

تسأل في فضول:

-أيوه ليه؟

يخبرها مستفزاً:

-مالكيش دعوة.

تخبره في حنق:

-طيب.

يخبرها بحب:

-عزمك على قهوة، موافقة؟

تخبره وقد أشرق وجهها:

-أيوه موافقة.

* **

قررت والدتها و والدها زيارتها والاطمئنان عليها،
ولكنهم لم يجدوها لا هي، ولا زوجها.
فلم يكن من بدّ من سؤال مدبرة المنزل.
والدها سائلاً في قلق:

-طارق وجنة فين؟

مدبرة المنزل في توتر:

-طارق بيه سافر ومعاها جنة هانم.

والدتها في خوف وقلق:

-أتصل بيها كدا.

يتناول هاتفه في وجلّ، يطلب رقم هاتفها، لا أحد يجيب.
يحاول أن يتصل بصهرهم العزيز، وفورًا يجيب،
فيسأله عن طفلة. فيحاول أن يطمئن قلبه ويخبره أنها
معه، وأنها تلهو على الشاطئ بالرمال. لقد أطمئن على
طفلة وهما بالرحيل في هدوء، لا يوجد أحد فماذا
ينتظران؟

* **

يغلق صهرهم العزيز الهاتف وبينما يرمي هاتفه على
الطاولة القابعة أمامه بلا مبالاة.

تأتي فتاة وتعانقه من خلف ظهره وتهمس له برقة:

-بتتكلّم مع مين يا قلبي؟

يخبرها ساخرًا:

-دا عمي وحماتي.

تسأل بلا مبالاة:

-و عاوزين إيه؟

يخبرها ضاحكًا:

-فاكرين أن بنتهم معايا، ميعرفوش أني سبتها في البيت.

ثم يردف ممسكًا يدها في حب جليّ في عينيه:

-سارة، أنا مش قادر أستحمل أعيش من غيرك، يلا بينا نطلع على المحكمة ونتجوز.

تصدم من قراره وتتبدل ملامح وجهها، لم تتوقع أن يحبها بصدق.

تخبره بخوفٍ:

-موافقة، بس باباك هياذيني ويأذيك يا طارق وأنا خايفة عليك.

يجذبها إلى يسار قلبه ويخبرها في ثقة:

-طول ما أنا معاك متخافيش.

تحاول أن تصطنع أي شعور:

-مش خايفة طول ما أنت معايا.

الصدق أنها تمقته، لقد رأته في ذلك اليوم، لقد فر بسيارته سريعًا وكانت معه الساقطة التي كانت تقود السيارة بلا هوادة. تلك اللعينة التي تحدثت من أجلها مع قاتل مأجور، وأخبرته أن يقتلها و يُؤاري الجثة في أي قبر لعين. أما هو حاولت قتله مرارًا، وفي كل مرة ينقذه أخوه اللعين، ذلك الوغد.

جميعهم أو غاد، الطبيب، أخوه، الجموع الغفيرة، تلك الساقطة التي تتعفن في قبرها ربما.

* **

استيقظت جنة ظهرًا تحاول أن تستكشف الصرح الذي حبست به، حمدت الله كثيرًا عندما اكتشفت أن هناك دورة مياه وغرفة للاستحمام أيضًا، تنقلت بين أرجاء الغرفة، حاولت أن تفتح الباب ولكنها لم تفلح، لم يفلح الصراخ، فسلمت أمرها لله. بدلت ثيابها ودلفت إلى صلاتها، بعد أن انتهت، احضرت مصحفها الصغير الذي لا تتركه مطلقًا، وبدأت تقرأ في خشوع. غفت قليلًا واستيقظت عصرًا، اقامت صلاتها وقرأت وردها اليومي. تجولت مجددًا، الجوع يفتك بها، تكاد أمعاءها تتمزق، تبحث عن هاتفها في جنون، تحاول استخدام

الهاتف الأرضي، تحاول الصراخ مجددًا، ضغطها
ينخفض بشكل ملحوظ، لم تأخذ حبوب الضغط، رأسها
يؤلّمها، يتشبث الصداع بها، تغفو مجددًا. تظلّ نائمة
لفترات ليست بهينة.

* **

في اليوم التالي، حاولت النهوض ولكن جسدها الهزيل
لم يسعفها، وخرّت مغشياً عليها، لا تدري هل ستعيش أم
إن وقت موتها ها قد حان.

* **

في ذات التوقيت في الساحل الشمالي.
يشعر بانقباض قلبه، لم يشعر هكذا من قبل.
يخبر الفتاة الجالسة بجواره في قلقٍ :
-يلا بينا بقا. أنا هرجع الفيلا، مش عارف حاسس أن
في حاجة غلط حصلت.
تخبره في ودٍ:
-روح شوفها يا طارق، حرام عليك، هي مش حيوان
أليف هي إنسان من لحم ودم.
يخبرها في وجلٍ:

-استنيني، هرجع بسرعة، ولا تيجي معايا؟

تخبره هادئة:

-لا مش هرجع هقعده هنا.

يتناول يدها في رفق ويقبلها:

-متز عيش طيب حبيبي أنا.

تنتزع يدها وتخبره في محاولة لإظهار ودها ولكنها
تفشل وتعترىها ملامح البغض:

-مش ز علانة يا حبيبي، روح.

يتركها ويستقل سيارته مغادراً، وأما هي فتذهب إلى
أمواج البحر المتلاطمة لتطهر خطاياها، تغوص إلى
قاع الأعماق ولكنه يلفظها كما يلفظ الصدف على
شاطئه.

* **

يصل ظهرًا كان يسير بسرعة عادية في النهاية لم يكن
يهتم كثيرًا.

هتف مناديًا على مدبرة المنزل في لهجة أمارة:

- خدي المفتاح دا وافتحي الباب، ودخليها الأكل دا وأنا
هقعده هنا اسمع التليفزيون شوية، مش حابب أشوف
شكلها.

مدبرة المنزل في خضوعٍ بعد أن تناولت ما أعطاه لها:

-حاضر يا بيه.

تأخذ صينية الطعام وتصعد على درجات السلم في عجل، وتفتح باب الغرفة، وتجدها ملقاة على الأرض مغشياً عليها. تسقط الصينية من يدها في فزع وتصرخ مولولة:

-الحقنا يا طارق بيه.

كان يشعل لفافة من التبغ، عندما هزّ صوت المدبرة أرجاء المنزل. هرول مسرعاً إلى مصدر الصوت، ليجد الفتاة مغشياً عليها جثة هامدة. بدأ الرعب على وجهه وصرخ قائلاً:

-اتصلي بالدكتور بسرعة.

تهرع إلى أقرب هاتف لتتصل بأي طبيب. يجلس بجوارها ركعاً على ركبتيه، يخبرها في فزع:

-جنة قومي بقا، متهزريش.

متوترًا لا يدري ماذا يفعل منادياً على نجوى في وجل:

-هاتي شوية مية بسرعة.

تحضر له كوب من المياه، ويرش بضع قطرات على وجهها ويلطمها على وجهها لتستيقظ. ألم يتعلم أن الذي يفعله غباء؟ إذا أردت أن توقظ مغشياً عليه، يمكنك

استخدام الروائح النفاذة مثل العطور القوية، أو البصل سيكون مفيدًا في أي حال.

المياه أو اللطم أولهم: يمكن أن يتسرب من الأنف إلى مجري القصبة الهوائية، ويتسبب في اختناقنا، وهذا للأغبياء الذين يرشون علينا المياه بغباء عندما نخرّ مغشيًا علينا.

ثانيهم: يمكن أن يسبب صدمة عصبية للمغشي عليه، أعلم أنها وسائل مجربة ولكنها خاطئة.

يخبرها في جزع:

-اتصلت بالدكتور ولا لا؟

تخبره بخوف متوترة:

-مردش يا فندم.

يدمد صارخًا:

-غوري من وشي دلوقت.

يتناول هاتفه في انفعال ويطلب أخوه لينقذه مثلما يفعل كل مرة.

يخبره بفزع:

-ماجد ابعثلي دكتور بسرعة.

يجيب قلقًا:

-حاضر، حاضر هبعثك دكتور.

يغلق المكالمة معه، يتناولها بين ذراعيه منتشلها من الأرض ويضعها على الفراش مدثرًا إياها، جالسًا بجوارها مرتعبًا.

* **

بعد مضي فترة هينة، يأتي الطبيب مسرعًا يقف أمام الغرفة مستأذنًا.

يخبره في لهفة:

-بسرعة يا دكتور شوفها مالها؟

يفحصها في تأن ويخبره مطمئنًا له:

-اطمن مفيش حاجة، هي بس مخذتش دواء الضغط فضغطها انخفض واغمي عليها، ولو قعدت أكثر من كذا كان ممكن تدخل في غيبوبة، أنا هعلقها محاليل حالياً، لأنها عندها انيميا كمان، وواضح أنها مكلتش من فترة وبتهمل صحتها.

مطأطأ الرأس منحنياً:

-هنهتم بيها من دلوقت بس هي تقوم بالسلامة.

يخبره منذرًا:

-وأرجو منكم محدش يعصبها، العصبية مش كويسة
عشانها.

يهزّ رأسه في حرج:

-حاضر يا دكتور.

يغلق حقيبته وهمّ بالمغادرة ولكنه توقف سائلاً:

-قبل ما امشي، ليه محدتش دواء الضغط بتاعها؟

يبحث عن العلبة التي أخذها منها ليريه للطبيب:

-قصدك العلبة دي؟

يخبره الطبيب متحيراً:

-أيوه، ليه محدتش منها لما تعبت؟

يخبره كاذباً، محاولاً إلا يظهر توتره:

-لا هي خلصت ومطلبتش اجبلها واحدة تانية عشان
كدا.

يهمّ مغادراً، مرتباً على كتفه:

-خلي بالك منها.

بعد أن غادر الطبيب، جلس بجوارها ممسكاً يدها في
عتب:

-ينفع كدا اللي عملتية خضتيني عليكِ ور عبتيني
ووقفتي قلبي؟

تستيقظ رويدًا وتنتزع يدها في انفعال، مستغربةً ما
يجري حولها. تنظر له في حنق:

-أنتِ إيه اللي جابك هنا اطلع براء، وإيه المحاليل دي؟
يخبرها معاتبًا:

-كنتِ هتموتي وأنا انقذتك يا ست هانم.
تخبره بوهن:

-كنت سبتني اموت، علشان ارتاح منك.
يتلاشى حديثها ويخبرها في حنو:

-وإيه حكاية الضغط دي كمان، من امتي عندك
الضغط؟

تشيح بوجهها بعيدًا عنه:

-من زمان.

ينسحب من جوارها منفعلًا:

-ومقالتيش ليه؟

تخبره منفعلةً وقد ترقرقت الدموع في عينيها:

-عشان أنا منهم ومدمنة صح، دا أنت حتى مخلتنيش
أقولك إنه الدوا بتاعي.

يخبرها منفراً:

-خلاص متتعصبيش العصبية مش حلوة عشانك.

تخبره منفعةً مشيرةً له بالذهاب خارجاً:

-لو عاوزني متعصبش اطلع برا، وسابني لوحدي، أنت
السبب في الحالة اللي أنا فيها.

كان قلقاً ولكنه شعر بتمردها، وكان خائفاً أن تخبر أحداً
وخصوصاً والده أو صديقتها الحرباء كما يسميها،
وأيضاً كي لا تشعر أنه يهتم لأمرها، لأنه لا يفعل.

يخبره منذراً:

-عارفة يا جنة لو حد عرف باللي حصل دا، ليكون آخر
يوم في عمرك.

تخبره بتحدي:

-أنا هكلم ندى وهقولها على كل حاجة.

يقبض على يدها محذراً:

-قوليلها عشان تبقي نهايتك.

ثارت غاضبة ومتحدية له:

-أنا مش خايفة منك، أنت أصلًا جبان، عارف يعني جبان، وحقير ومنحط كمان.

يقترّب من وجهها ويضغط على فكيها بيده:

-هتعتبر نفسي مسمعتش حاجة، ومتخلنيش احبسك ومش هخليك تتطلي المرة دي ولا هجبلك الدكتور؟

تبعد يده وتخبره في حنق والدمع يخر من عينيها:

-مش خايفة منك بقولك.

دخلت في حالة عصبية وتشنج وجهها وبدأت بالصراخ:

-أطلع برا.

عندما رآها هكذا رق قلبه، وهرع إليها مهدئًا، ضامًا لها في أحضانها، مرتبًا عليها في حنو:

-جنة أهدي أنا أسف، أسف، والله أسف ومش هز عاك تاني أبدًا.

غفت من إجهادها، وهو أيضًا لأول مرة يطمئن ويغفو بدون مهدئات. أخبرها أنه يعتذر وأنه لن يحزنها مجددًا.

يا له من شخص عطوف، ولكنه مصاب بمرض الفقد والحب كذلك، أراد حقًا أن تكون حبيبته زوجته وأم أولاده، ولكن القدر لا يعطيك ما تريد يعطيك ما تستحقه وحسب.

مونامور

الفصل الواحد والعشرون (شئنا أم أبينا لقد افترقنا)

الساعة التاسعة مساءً.

بعد عدة ساعات من انتظاره في منزل الساحل الشمالي.
حاولت الاتصال عليه ولكنه لا يجيب، وهاتفه مغلق
كذلك.

تحدث ذاتها في توتر:

-إيه يا طارق بقا مبتردش ليه؟ أنا خايفة ليه؟ طيب
أعمل ايه بس ولا هوصل له أزاى؟

تلتقط هاتفها وتطلب رقم ما وتخبره في وجل:

-أدهم أنتَ فين يا بني اتكلم؟

يخبرها بصوت ناعس:

-إيه؟ عاوزة إيه؟

تخبره متوترة:

-عاوزك توصلني وخلص.

يخبرها مغممًا:

-حاضر هلبس واجيلك.

أحد ما بجواره:

-مين دا يا قلبي؟

تخبره بشك:

-مين جانبك يا أدهم؟

يخبرها كاذبًا، هادئًا:

-مفيش حد جانبي، دا أنا.

التي بجواره:

-رايح فين يا حب؟

تخبره في انفعال:

-أدهم متكدبش في حد جانبك صح؟

يخبر التي بجواره أن تصمت في انفعال:

-ياووه بقا اسكتي خالص إيه زهقت.

الطرف الآخر منفعلة:

-أنا اسكت يا أدهم طيب.

يخبرها مبررًا:

-يا ستي مش أنتِ دي دبانة مش مبطللة زن.

تسأله بأمر:

-أنتَ فين؟

يخبرها بصوت فاتر:

-جانبك، ساعة وهكون جانبك.

* **

بعد مضي ساعة تنتظره، جاء وظلّ واقفاً خارج سيارته
إلى أن تأتي إليه.

نظرت إليه بحنق:

-اتاخرت ليه؟

يجدها بعينيه:

-متاخرتش، قولتك ساعة هطير يعني؟

تخبره أن يصمت وحسب ويدير محرك السيارة، لتصل
إلى وجهتها. ظلّ الصمت ضيفهم الثالث ورفيقهما
المعتاد.

* **

استيقظت لبرهة هينة، وجدته يغفو بجانبها ممسكاً يدها،
لم ترد إيقاظه، نرعت يدها في هدوء وابتعدت عنه في
حيطة. ورمقته بنظره خاطفة وشعرت أنه ليس سيئاً،
بالرغم مما يفعله. إلا أن هناك بذرة نور بداخله، بداخله
الخير بالرغم من عتمته.

تصل حبيبته إلى منزله وتمنعها مدبرة المنزل من
الصعود للأعلى، فلم تعد هي سيدة المنزل بعد الآن.
تخبرها في هدوء:

-مينفعش يا هانم تدخلني هنا وفي الوقت دا.
ترمقها بنظرة حادة:

-مالكيش دعوة وأنا هطلع فوق واشوف طارق.
منحنية الرأس خائفة:
-يا هانم بس...

تقاطعها وتزيحها من أمامها في انفعال:
-مبسش واوعي من قدامي.

...تصعد على درجات السلم وتصل إلى غرفته وتدلف
إليها في هدوء. وعندما تراه نائمًا بجوارها، تعترتها
الصدمة، كيف لذلك الوغد أن يطمئن؟ شعرت أنه
انتهى، كل ما فعلته ذهب هباءً منثورًا. شعرت بالخيانة
وأن كل ما خسرت من روحها ذهب في مهب الرياح،
فالرجل بالتأكيد سيحب زوجته في النهاية، ولكن لم تكن
تتوقع أن يحدث ذلك سريعًا.

تهبط باكية تنحدر الدموع منها سيولاً، تبكي لعل البكاء
يشفيها، تبكي رثاءً لها وعزاءً على غيابها. تسير خارجاً
نحو أدهم عينيها لأولوتين مترقرقتين من الدمع.
يسألها خائفاً:

-مالك يا سارة بتعيطي ليه؟ قوليلي؟

فقط تبكي منهمة الدمع، منكسرة الفؤاد.

يخبرها بصوته الحائي مكفكفٍ دموعها بيده:

-طيب يلا نمشي ونقعد في أي مكان ونتكلم.

ثم يردف مهدئاً لها:

-أهدي بقا، عاوزة تروحي فين؟

تخبره في بكاءٍ ونحيبٍ:

-أي مكان مش فارقة.

يخبرها في ودٍ و عطفٍ:

-خلاص هنروح مطعم وناكل وتحكي لي مالك.

* **

في مطعم ما شخصان يجلسان في الزاوية بعيداً. أمامهما

أصناف من الطعام والشراب.

يسأل أحدهما في عطفٍ:

-مقولتيش مالك؟ وليه مش راضية تاكلي طيب؟

تجيب باكية:

-لا مليش نفس.

يخبرها منفعلًا وقد تصدغت أذناه من بكائها المستمر:

-هتقولي مالك ولا اديك قلم يضبطك؟

تردف باكية:

-مش قادرة احكي.

مصفقاً بيديه مشيرًا إلى نادل المطعم:

-هاتلنا ازازة فودكا وكاسين.

النادل مجيبًا لطلبه:

-حاضر يا فندم.

تطلق اعتراضًا:

-من أمتي بتشرب؟ رامي قالك قبل كدا تبطل شرب.

يخبرها منكسرًا:

- وهو فين رامي يا سارة؟ الله يرحمه.

ثم يتناول الزجاجاة التي أحضرها النادل ويسكب

الشراب في ضيق:

-خدي أنتِ دا وأنا هاخذ دا.

تتناول منه الكأس في شره:

-هات واحد تاني.

يناولها كأسًا آخر:

-أهو خدي أشربي، وقوليلي مالك؟

تخبره باكية:

-كل حاجة عملتها طلعت ملهاش قيمة، كنت فاكرة أني
عندي دماغ.

يناولها كأسًا آخر:

-خدي اشربي ،ها وأي الجديد؟

ثم يردف ساخرًا:

-أنا قولتلك قبل كدا أنتِ مبتسمعيش الكلام!

تلوح بيدها في وجهه مترنحة:

-كفاية بقاء، أنتِ كل شوية تقولي قولتلك، قولتلك،
وعملت إيه بعدها، ولا حاجة؟

يخبرها مستفزًا:

-يعني هعملك إيه يعني ؟ أنتِ بقرة مبتفهميش؟

تخبره ضاحكة:

-كنت ضربتني قلمين ولا اي حاجة وفوقتي، بدل ما أنا
ضيعت نفسي كدا؟

أخبرها جادًا:

-يلا بينا نمشي من هنا هو صلك البيت.

تتنزع الزجاجاة من على الطاولة وتخبره في ترّنج:

-هنسيب دي لمين؟

بصوت مترّنج:

-سببها بس أنت مالكيش دعوة؟

تخبره في ملامح طفل عنيد وتتناول ما بداخل الزجاجاة
في نهّم:

-لا هاخذها معايا.

يخبرها محاولاً أن يستعيد رشده:

- يلا بينا نمشي وإلا مش هنعرف نروح.

تسير مترنّحة، تستولي عليها أعراض الثمالة، لم يكن
أفضل حالاً منها، كان يشعر بثقل رأسه ورؤيته مشوشة
كذلك.

يخبرها سائلاً، تائهاً:

-العربية فين؟

تشير بيدها في ترّج:

-اهي هناك اهي.

يقود سيارته في تشويش، ليصل أمام منزلها ويخبرها
أن تترجل من السيارة وتدلف إلى منزلها:

-انزلي يلا وروحي.

تتشبت بيده، مستندة على كتفه، تجيب في اعتراض:

-لا مش هسيبك، تضيع مني تاني.

يخبرها مازحًا:

-هو أنا ضعت أولاني، يا بنتي انزلي بقا، البيت اهو.

تخبره بعناد وترّج:

-لا مش هنزل.

يذهب إلى منزله وتدلف معه إلى الداخل.

تتشبت به في وهن:

-ممكّن متسبنيش يا رامي.

يخبرها نصف واعٍ، وأزاحها بيده بعيدًا:

-أنتِ بتقولي إيه؟

تقترب منه مجددًا في رجاء:

- متمشيش من فضلك، أنا مش قادرة أتخطي غيابك.
يخبرها مترنحًا مبعداً إياها:

-سارة كدا مينفعش، أنت مش في وعيك.
تقترب منه أكثر وتتشبث به في بكاء ورجاء:
- متسبنيش من فضلك.

* **

في صباح اليوم التالي

يستيقظ مشوشًا، يجدها نائمة بجواره، ينسحب من
جوارها. يرتدي ثيابه في عجل، ومن ثم يبتعد واضعًا
يده على رأسه في صدمة:

-يا نهار مش فايت أزاي دا حصل، أعمل إيه أنا
دلوقت؟

يقترب منها محاولاً إيقاظها:

-قومي يا بنتي قومي، فوقي.

تستيقظ غير واعية، تنظر إلى ذاتها وتدثرها بالغطاء
مبتعدة عنه، مشيرة له أن ينظر بعيدًا لترتدي ثيابها.

تجلس على طرف الفراش و تسأله في بلاهة:

-ازاي دا حصل. وامتي؟

يخبرها قلقًا:

-معرفة مش فاكرا أي حاجة حصلت؟

تخبره بانفعال وضيق:

-أزاي دا أنا مش فاهمة، مكنش لازم دا يحصل.

يخبرها منفعلاً، ثارًا:

-أنتِ آخر حاجة قولتها متسبنيش، واللي حصل،

حصل أعمل إيه يعني؟

تخبره بضيق واحتقار:

-قصدك إيه يا أدهم؟

يخبرها غاضبًا:

-قصدي أنك سلمتلي نفسك وأنا مكنش في واعي،

عاوزاني أعمل إيه يعني؟

تصفعه على وجهه بشدة:

-أنتِ حقير يا أدهم، أنا كنت خطيبة أخوك أزاي قدرت

تعمل كدا؟

يخبرها ببرود أعصاب:

-متشكر على القلم دا، بس على ما أعتقد أن الموضوع

كان عجبك ولا إيه؟

تخبره منفعة وباكية:

- احرص، أنت حيوان، وسافل، وأنا مش هسامحك أبدًا.
يخبرها مبررًا:

- مش ذنبي على فكرة.

تجلس على طرف الفراش باكية:

- وأنا أعمل إيه بذنبيك ولا مش ذنبيك دلوقت؟

يجلس بجوارها مهدئًا لها أو مستفزًا لها:

-مش هتحصل حاجة اهدي بقا، مجرد ليلة وعدت
متعمليش الخضرا الشريفة، يعني أنت كنت وافية جدًا
الحقيقة.

ثم يردف منفعلًا:

-لو كنت عاوز أستغلك، كنت عملت كدا من زمان،
وأكثر من مرة تكون الفرصة قدمي ومعملهاش.

تتركه وتذهب دون أن تنبس بطرف حرف وهي تفكر
كيف حدث الأمر برمته؟ لم يكن الأمر منطقيًا، كانت
تظن أنها تحلم، كانت ترى من فرقه القدر عنها،
وأصيبت بفرط من الجنون لأجله.

في ذات الصباح، في مكان آخر.
لأول مرة يستمع إلى صوت القراءن في منزله
جالسًا في غرفة " السفرة " بجواره زوجته، محدثًا لها
في مازحة:
-أنا هسافر بكر الصبح لمدة 3شهور، وبكدا ترتاحي
مني ولا إيه؟
تخبره غير مهتمة:
-سافر براحتك وأنا قولت حاجة؟
تعترى ملامحه الجدية:
-تمام، ولو احتاجت حاجة، معاك نجوى، وممكن
تكلمي ماجد لو في حاجة حصلت معاك.
تبتسم ابتسامة صفراء:
-لا مش هعاوز حاجة متشكره جدًا.
ينظر إلى مدبرة المنزل في رجاء:
-نجوى، حضري الشنط بتاعتي، من فضلك.
توما برأسها في موافقة:
-حاضر يا بيه.

تخبره في ود:

- عامة تروح وترجع بالسلامة.

يترك الطعام مغادرًا:

- شكرًا.

تخبره في دهشة:

- استني هنا إيه شكرًا دي؟

يحاول أن يُواري ضحكته:

- شكرًا يعني شكرًا.

تبتسم في ضيق:

- طيب شكرًا.

يخبرها مستفزًا:

- استني هنا إيه شكرًا دي؟

تزفر في ضيق:

- ياووه بقاء، أنا هطلع في الجنية شوية بدل الخنقة دي.

يخبرها في ود:

- خلي بالك من نفسك طيب.

تنظر له بودٍ وتتركه وترحل، لتدلف إلى حديقة المنزل.

في مقهى على البحر، شخصان يتحدثان في أمر
مصيري ربما.

يتحدث أحدهما بـ:ـ

-مونامور، بصي.

تخبره مندهشة:

- أيوه افضل.

يخبرها بصدق:

- أنا مش حاسس أننا صحاب يا ندى، صدقيني حاولت
ومقدرتش.

تهتف للنادل مشيحه بنظرها عنه، في توتر:

-هطلبك قهوة. ماشي، لو سمحت اتنين قهوة.

يخبرها برجاء:

-متغيريش الموضوع أرجوك.

-ترفع حاجبها بحركة لا ارادية:

-مبغيرش الموضوع هنشرب قهوة مع بعض.

حدثها منفعلاً:

-ندى متستعيطيش بقا.

تتفر في برود أعصاب:

-أنتَ عاوز إيه دلوقت يعني؟

يخبرها في استعطاف:

-يعني أنتِ مش حاسة ولا عندك أي مشاعر من

ناحيتي؟

تخبره مغيرة للحديث:

-بلاش أوفر بقاء، تعال نشرب القهوة ونمشي.

جاء النادل ووضع ما طلباه في ود:

- اتفضلوا الطلب يا فندم.

تنظر له بتقدير:

-متشكرين خد حسابك وأنا همشي.

قبل أن تغادر أمسك يدها في رجاء:

-استني يا ندى اسمعيني طيب.

تنزع يدها في انفعال:

-سيب ايدي وسابني بقا ومتكلمنيش أبدًا، انتهينا.

تتركه وتهرول مسرعة وعينيها تفيض بالدمع رغماً عنها. يحاول أن يستوقفها ولكنها تستقل سيارة الأجرة وتختفي هاربة. ماذا يفعل؟ لا يملك قلبه الآن.

لم أجد أفضل من هذا المقطع الغنائي لأختتم به الجزء
الأول من الحكاية:

"القلب اللي بيجرحنا .. فيه حاجة اكيد جرحاه

و جراحه بتفكرنا .. بالقلب اللي جرحناه

كتير بنعشق و لا بنطول .. و كتير بنعشق و لا بننول

و مافيبش حكاية بتستمر .. زي ما بدأت ليه علطول"

تمت بحمد الله

بتاريخ 17/3/2024

إلى اللقاء في الجزء الثاني من الحكاية والذي متوفر
حاليًا.

ملحوظة: تمت كتبت هذه القصة في العام 2018 وتم
إعادة السرد والصياغة عام 2024 ، ولهذا قد تجد
بعض الأحداث العبثية في الواقع.